

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة
الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

<https://anaheedblogger.blogspot.com>

:تنبيهات هامة

منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح -
هذه التفاريغ من عمل الطالبات ولم تطلع عليها الأستاذة حفظها الله -
الكمال لله - عز وجل -، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما -
ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله
يُهدي إلى البر
والله الموفق لما يحب ويرضى

أ. أناهيد السميري

أُلقي في ذي الحجة ١٤٣٤ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده سبحانه وتعالى ونشكره أن يسّر هذه الأسباب للاجتماع حول هذه الأمور العظيمة التي هي من أصول شريعتنا، وسنبداً بالكلام عن **الصدق** كقيمة من أعظم القيم التي يُبنى عليها الدين.

القيم ومكانتها في ديننا

لكن قبل أن أتكلم عن قيمة الصدق كقيمة لا بد أن أتكلم عن القيم ومكانتها في الدين وعلاقتها بالإيمان، فلو بدأنا بقوله تعالى: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} ¹ وأتينا نناقش معنى التقوى، إذا ناقشنا معنى التقوى بصورة عميقة سنجد أن **التقوى** هي عبارة عن اسم لممارسة القيم العليا.

ابحث في ذهنك كم مُدحت التقوى في القرآن؟! كم أُثني على أهل التقوى؟! كم وُعدوا بالوعودات العظيمة؟! فلما تريد أن تعرّف لأحد التقوى ماذا ستقول؟ نحن عادة في الكلام النظري الذي دائماً نكرره

¹ [البقرة: 1-2]

نقول: أن نجعل بيننا وبين عذاب الله وقاية باتباع الأوامر واجتناب النواهي.

نريد التنفيذ العملي للتقوى، أنا شخص أريد أن أكون متقيًا؛ متى؟ كيف؟ ما الذي يغذي التقوى؟ كل هذه المعلومات ستكون ذات صلة قوية بالقيم.

فلنرتب أفكارنا: نحن اليوم نجتمع لبيان قيمة الصدق، وكيف ومتى يمارس؟

فالصدق أحد القيم التي مطلوب منا أن نمارسها.

كلمة "قيم" لها مدلولها الشرعي، بمعنى أن لها أصولها الشرعية، وأين مدحت وأين ممارستها..

نختصر ذلك في كلمة: القيم لها صلة شديدة بالتقوى، فالتقوى - هذا الاسم العظيم في الدين-: عبارة عن ممارسة القيم العليا، إذن سنربط بين القيم والتقوى.

لو كنت أمام موقف ولديك خياران: أن تكون أمينًا، أو أن تكون خائنًا، ما التقوى؟ أن تكون أمينًا.

ولو كنت أمام أمرين: أن تعفو أو أن تنتقم، ما التقوى؟ العفو.

إذن بكلام مختصر التقوى اسم لممارسة القيم العليا، هذه الممارسة لا يوجد أحد يخطئها، فسواء كنت صغيراً أو كبيراً ستمر بمواقف دائماً يكون فيها اختياران، فإذا كان القلب ممتلئاً إيماناً وتصديقاً بالأخبار سيميل لقرار الخير.

مثلاً أنت في موقف ولديك القدرة أن تردّ أو تكظم غيظك، حينما تكون مليئاً بالإيمان وتعرف أن الله عز وجل مدح الكاظمين الغيظ، ما هي التقوى الآن؟ أن تكظم غيظك.

إذن نحن لدينا مجموعة من القيم العليا تشمل الحياة بتفاصيلها، لا يوجد شيء في حياتك ما قيل لك فيه ما القيمة العليا التي يمكن أن تتصرف بها في هذا الموقف، كل موقف من مواقف حياتك فيه قيمة عليا يُطلب منك أن تمارسها، إما تسمعها صريحة، أو تسمعها كناية، أو تسمعها إشارة، أو تقيس عليها، في النهاية لكي تعيش متقياً ولكي تكون شخصاً متقياً، ما الذي لا بد أن تعرفه من الدين؟ تعرف القيم العليا التي يدعو إليها الدين، وتعرف كيف تقوي اختيارك للقيم العليا.

إن اعتُدي عليك، أصبح في قلبك صراع، إذا القلب فيه قوة إيمان، سيسمع صوت الخير (القيم العليا)، إذا القلب فيه ضعف إيمان، سيسمع القلب الصوتين، لكنه يميل إلى تأره، إلى حقه، إلى إشفاء غيظه، فإذاً لكي أصبح تقياً أحتاج أمرين:

1- الإيمان سبب قوي لممارسة القيم العليا، أو من أن ممارسة القيم العليا سبب لثناء الله علي، {.. وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ².

أنت عبد في الأرض تفعل فعلاً يحبك به الملك العظيم، فتبذل كل ما تستطيع من أجل أن تصل إلى هذا، وممكن أن تسترخص أي شيء في مقابل أن يحبك الله.

انظروا إلى القوم الذين وصفهم الله في سورة يونس يقول عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} ³، في مقابلها: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} ⁴ ما معنى يهديهم ربهم بإيمانهم؟ يعني تكون في الموقف وتدخل في صراع، ويهديك الله إلى التصرف الذي يرضيه، لكن عليك أن تكون من: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}.

الفريق الآخر: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا} هؤلاء دائماً عندهم سؤال: من أنا عند الناس؟ من أنا

² [آل عمران: 134]

³ [يونس: 7]

⁴ [يونس: 9]

أمام نفسي؟ من أنا في هذه الأرض؟ لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سؤالهم: مَنْ أنا عند الله؟

2- أن أعرف تفاصيل القيم العليا، فهذه القيم العليا التي نمتدحها -مثل الوفاء والصدق والإخلاص-، عبارة عن كلمات نتداولها، لكن تفاصيل القيمة ليست موجودة عندنا.

متى تكون مدرّكاً معنى القيمة تمام الإدراك؟ حين يُطلب منك التعبير عنها فتحسن، تكون فكرت فيها، وبحثت عنها، وسألت عنها، وفهمتها وتستطيع أن تعبّر عنها، فكل شيء لا تستطيع أن تعبّر عنه وإن كنت تمارسه فأنت لم تدركه بعد الإدراك التام.

مثال: اذكر في جملة مفيدة ما معنى الإخلاص؟

بكلمة مختصرة: **الإخلاص هو: طلب ثناء الله دون ثناء غيره، ومن أين هذا الكلام؟ نجد سورة الإنسان ذكرت فيها ثلاث مرات كلمة الشكر:**

أول موطن: **{إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}**⁵ على الناس كلهم إما شاكرا وإما كفورا.

الموطن الثاني: وصف الأبرار أنهم يقولون {إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}⁶.

يأتي الموطن الثالث في كلمة الشكر في سياق الثناء عليهم في الجنة: {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا}⁷.

إذن: الناس إما شاكرًا وإما كفورًا، هذا الشاكر يفكر في ثناء الناس أم في ثناء الله وحده؟ في ثناء الله وحده بدليل أنه يقول: {إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا}⁸ المعنى: أنهم لا يريدون جزاءً ولا شكورًا من الخلق، يريدون جزاءً وشكورًا وثناءً من الله وحده.

إذن المخلص شخص يبحث عن مكانه عند الله، لا يريد إلا ثناء الله، يصل إلى حد أن يزعه ثناء الناس.

فإذن القيم تحتاج وقت ممارستها: فهمها فهمًا دقيقًا بحيث أني أعرف ما هي حركة القلب الآن، لا بد أن أفهم وقتما أكون مخلصًا ما هي حركة قلبي؟ قلبي يكون متجهًا لأي شيء؟

⁶ [الإنسان : 9]

⁷ [الإنسان : 22]

⁸ [الإنسان: 9-11]

فماذا يعني أن أكون مخلصًا؟ يعني لا أريد أن أسمع ثناء الناس، أريد أن أسمع ثناء الله، أنا واحد أبحث عن صيتي في السماء كما ورد في الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ صِيتٌ فِي السَّمَاءِ، فَإِنْ كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ حَسَنًا وَضِعَ فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ كَانَ صِيتُهُ فِي السَّمَاءِ سَيِّئًا وَضِعَ فِي الْأَرْضِ)).⁹ أين هؤلاء المؤمنون الذين يحملون هم ماذا يكونون في السماء، ولا يحملون هم ماذا يكونون عند أهل الأرض؟!

هذه الجملة بالضبط أتت في يونس: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا}¹⁰ (رضوا بالحياة الدنيا) أي المهم عندهم أنا من عند الناس، هم أنجزوا ونجحوا وفرحوا ووصلوا لأجل قيمتهم عند الناس، {وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا} أي ركنوا.

غير أنه ممكن يأتيهم الوهم العظيم؛ أنه ما دام عند الناس إنسان مقبول، فمن المؤكد أنه مقبول عند الله، ويستعمل نفس النص: أن الذي يحبه الله عز وجل يلقي محبته في الأرض، نقول: لا، توجد شروط عظيمة من أجل أن تستدل بهذا على هذا، أليس أهل الباطل

⁹ مسند البزار، صححه الألباني

¹⁰ [يونس: 7]

محبوبين عند أهل الأرض؟! إذن هذا ليس علامة لحب الله لهم، يوجد مقاييس دقيقة من أجل أن تقول الحب الملقى لك في الأرض دليل على حب الله، وليس فتنة لك.

المقصد أن القيم العليا تحتاج مني أمرين:

الأمر الأول: أن أفهم صلتها بالإيمان، فلن تستطيع أنت تمارس القيم العليا كما ينبغي إلا إذا كنت على قاعدة من الإيمان.

الأمر الثاني: من أجل أن تمارس القيم العليا كما ينبغي، لا بد أن تحرر القيم العليا، فتدرك حقائقها الدقيقة وتفاصيلها التي لا بد أن توصف فيها حركة القلب أثناء ممارستك القيمة، فكما تعلمون ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))¹¹ وعلى هذا التصور تفهم جيدًا صورتنا في الحياة.

عندما تتصورون صورتنا في الحياة، تستطيعون أن تتصوروا الحاجة إلى القيم العليا، أنت مسافر إلى الله {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَذَاكُمْ أَجْمَعِينَ}¹²، مسافر إلى الله عندك راحلة وعندك جوهر، تريد أن توصل هذا الجوهر وهو يركب هذه الراحلة إلى الله سليمًا {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}¹³

¹¹ رواه مسلم في صحيحه

¹² [النحل : 9]

¹³ [الشعراء : 89]

جوهرك الذي تريد أن توصله  قلبك.

راحلتك ودابتك التي تصل بها بدنك.

إذن من أجل أن أمارس القيم العليا يجب أن يكون تركيزي على الجواهر الذي في الداخل، والدابة هذه يجب أن تخدم الجواهر، وتعرفون أن الجواهر هو الملك والدابة هي الجنود، والملك هو الذي يركب الدابة، وليست الدابة هي التي تركب الملك، فالسلطة للملك للجواهر، للقلب.

ثم إن هذه الدابة ستأتي اللحظة التي تنفصل عنها وتنتهي علاقتك بها، ولا يقع في قلبك أيّ تأثير بسبب فقدها، فلما يموت الإنسان ينفصل قلبه -روحه- عن بدنه، ماذا يحصل في بدنه؟ يأكله الدود، فلن تبكي على أكل الدود، ليس أكل الدود الذي سيحزنك، لأنك عندما تنشأ النشأة الجديدة سينشأ الله عز وجل لك بدنًا جديدًا له قوى مختلفة، يصبح بصرك حديد في ذاك الوقت، تصبح ترى الملائكة والجن وترى ما لم تكن تستطيع رؤياه من قبل.

هذه الراحلة التي تحمل قلبك ستأتي اللحظة التي تكون لا قيمة لها بالنسبة لك، مثلما تقصين شعرك أو تقلمين أظافرك، لا يوجد إحساس بينك وبينه، انظر كيف لما تجد نفسك تدور حول راحلتك، ثم في

النهاية تقصها بالمقص ولا تشعر بأي شيء فيها، انظر لما يجلس الإنسان حياته كلها من أجل خدمة البدن وليس من أجل خدمة القلب! ثم إنه أوتي سمعًا وبصرًا وقوة كل هذا من أجل خدمة القلب، لكن المسألة أصبحت بالعكس؛ أصبح القلب هو الذي يخدم البدن!

مثلاً تريد أن تصوم يوم الخميس والاثنين، فبدنك يقول: لا، ستصدع وستتعب وستجوع، فيقول القلب للبدن: سمعًا وطاعة! تدق ساعتك لتقوم للقيام، فيقول لك بدنك: نم ساعة فلديك دوام وعمل.. فيقول قلبك لبدن: سمعًا وطاعة!

أصبحت الدابة راكبة الجوهر والملك! وأكد أن هذه الصورة شاذة لا أحد يتحملها، فلو وجدت شخصًا مشتريًا فرسًا كان راكبها، وبعد قليل نزل هو وحمل الفرس على ظهره، هذه صورة شاذة، ونجد في الحياة هذه هي الصورة بالضبط، والسبب: أن أبداننا تُرغم قلوبنا أن لا تمارس القيم العليا.

ففي هذا الموقف أنت تريد أن تكون عفيفًا ولا تطلب، فيقوم بدنك يلح أن تطلب، في هذا الموقف تريد أن تكون ممن يغض البصر لترفع هذه القيمة، تقوم عينك تصر وتصر، فتستجيب لها، وهكذا، فالصراع الآن أصبح بين هذا البدن الذي له شهوات، وبين هذا القلب

الذي يريد أن يسمو، فالقلب يحتاج إلى قوة إيمان مع معرفة للقيم العليا، من أجل أن يروّض البدن على أن يمارس القيم العليا.

ملخص النقاش: أن الدين كله عبارة عن مجموعة قيم، حيث تمارسها تصبح تقيًا، مثلًا: لو أعطيت الحصة حقها وأنا طالبة، هذا معناه أنني مارست قيمة الأمانة، لكن لو نعست عيني، وسرحت، يحصل صراع بين البدن والقلب، القلب يريد أن يكون يقظًا، والبدن يريد أن ينعس ويكسل فماذا نفعل؟ لما يصبح الملك هو القلب يصارعه حتى ينتصر، ولذلك ((تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَاءِ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ..))¹⁴.

الشاهد: (لا تضره فتنة إلى قيام الساعة)، مثاله الذي ينتصر على نفسه في قيام الليل اليوم وغداً وبعد غد والسنة والسنتين ... عندما يأتي في السن الذي يكون الناس مثله كباراً في السن ولا يستطيعون أن يقوموا، هو يقوم ويصلي الليل، بدون ساعة، وبدون منبه، بدون أي شيء، لا تضره فتنة إلى قيام الساعة، لا تضره فتنة إلى موته، صارع كسل البدن عن القيام، انتصر في هذه النقطة ← لا

تضره فتنة إلى قيام الساعة، مثلاً: صارع البدن على مصلحته في أن يكذب وأصبح صادقاً ➡ أصبحت سليقته أن يكون صادقاً، فهي مرحلة يختبر فيها الإنسان.

إذن اتفقنا على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن الدين عبارة عن ممارسة للقيم العليا، ومن ذلك كلمة التقوى فالتقي يصارع بين القيم العليا وبين شهوات نفسه وبدنه.

الأمر الثاني: لأكون شخصاً تقياً أحتاج أمرين:

- أحتاج أن أعرف العلاقة بين الإيمان وممارسة القيم العليا، كلما زاد إيمانك، زادت ممارستك للقيم العليا، كلما ضعف إيمانك، قلت ممارسة القيم العليا.

- أحتاج أن أعرف القيم العليا بالتفصيل، إذا زادت معرفتي بالقيم العليا بالتفصيل وانشغلت بها، سأعرف كيف تكون حركة القلب وقت القيمة العليا.

ولذلك انظروا في بناتنا وشبابنا المتعلمين منهم، الذين يرجو المجتمع وينتظر منهم أن يكونوا قواده، مثلاً هؤلاء طالبات المرحلة الجامعية أو أحياناً الدراسات العليا، يكنّ جالسات في فصل دراسي، ويدرسهن الدكتور من وراء الشبكة، المفروض أن تحترمي الزمان

الذي قطع لك كطالبة، والإمكانيات التي وفرت لك كطالبة، والشخص الذي يكلمك الذي قطع من وقته وجهده...إلى آخره، يكلمك وأعطاك ما أعطاه الله من العلم، ثم تجد ممارسات لا تنتمي إلى القيم العليا أبدًا! يتكلمن، أو يأكلن ويشربن، أو يغمضن أعينهن، أو يخرجن من القاعة!

بذلك يكلفون على الدولة تكلفة زائدة؛ دكتور يدرس، وأماكن وشبكات، وبعد ذلك لا بد أن يأتون لهم بمن تراقبهم! وأيضًا التي تراقبهم تصبح معهم! ماذا تنتظر من بلد من مجموعة أشخاص لا يمارسون القيم العليا؟! آمالها معقودة بشبابها، كيف بعد ذلك في النهاية تصبح الفجوة بهذه الطريقة.

أكيد أن عدم ممارسة القيم العليا مسألة تورث، يعني إذا كان الكبير لا يمارس القيم العليا، فالصغير سيكون طبق الأصل من الكبير، ثم الصغير سيكون أسوأ حالًا من الكبير، لأن الكبير فقط يعطيه مجالًا أن لا يمارس القيم العليا، فالذي أصغر منه لا يمارسها أبدًا.

فالمقصود الآن لا بد أن نعرف أن علتنا ضعف الإيمان مع ضعف معرفة القيم العليا، والقيم العليا ليس أمرًا نتشدد به، بل أمرًا نتقرب به. ونجد أننا لما نقول لا نستطيع ممارسة القيم العليا إلا إذا كنت مؤمنًا،  يأتي سؤال: لكن الكفار يمارسون القيم العليا!

نقول: أهل الكفر يمارسون القيم العليا ويتخلقون تملقًا من أجل مصالحهم، الذي يكون في الصباح عاقل، ويدرس ويعلم وشخصية، في الليل يسكر ويفقد عقله، ويمارس الرذائل! وهذا نفسه حين يفرض عليه القانون أشياء، تجده يفعل ويفعل، لكن لما يجد فرصة ليس فيها قانون يفعل ما يريد.

لكن نحن نمارس القيم العليا تعبّدًا وتقربًا إلى الله، فلو كنا في صحراء ووجدنا عطشانًا ولو كان كلبًا، مددنا يدنا نسقيه، في صحراء لا يوجد أحد يثني علينا، ولا قانون يحكمنا، لو مشينا في طريق خالي ووجدنا غصن شوك يؤذي المسلمين في طريقهم، لحملناه وانتظرنا أن يشكرنا الله فيغفر لنا، نحن نمارس القيم العليا تعبّدًا لا نمارسها تملقًا، لأن الذي يمارسها تملقًا أول ما يفقد مصلحته، مباشرة يرفع يده عن القيم العليا.

تجدهم يتشدقون بحقوق الإنسان وحقوق الحيوان، وينتقدون ذبح الأضاحي في العيد، ثم في مواقف أخرى يستحلون سفك دماء المسلمين! أين إذن حقوق الإنسان؟ هي مجرد أدوات.

القيم عندهم مجرد أدوات للوصول إلى المصالح، ونحن عندنا القيم طريقنا الذي نشقه من أجل أن نطيع ربنا {إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا

نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا¹⁵ يزعجنا أن يشكرنا أحد على القيام بالقرب إلى الله، يزعجنا أن نمارس القيم العليا، فيأتي أحد يقول: أنا لم أرَ مثلك وفيًا، فتقول: أنا لا أريد أن أسمع ثناءك، أنا أريد أن أسمع ثناء من في السماء، أريد أن يثني الله عز وجل عليّ وملائكته، هذا الذي يشرح صدري.

وهذا فرق شاسع في ممارسة القيم، فلما فقد مجتمع المسلمين الإيمان،  تردّت الأخلاق، فنحن القوانين لا تردنا، إنما الذي يردنا أن يرد إلينا روح الإيمان، فمثلاً نرى (ساهر) -نظام كاميرات لمراقبة الطرق-، والاختراعات التي يقومون بها اليوم من أجل أن لا يصورهم ساهر!

فلما يأتينا القانون فإنه لا يقص رقابنا، في حين أن الذي يجعلنا خاضعين هو الذي جعل أوائلنا خاضعين، والذي جعل أوائلنا خاضعين هو الإيمان، وهذه خاصة للعرب، العرب خاصة ربنا خلقهم صفتهم أنهم قواد معتدين بآرائهم، إذا لم يأت الإيمان يكسر لهم هذا الأمر، لا يصلح فيهم شيء، وأكد تعرفون تاريخ العرب وحرب البسوس، وأربعين سنة، وثمانين سنة، وإلى آخره، على ماذا؟ على ناقة أو على خيل، لماذا يضحوا بهذا كله؟ لأنهم معتدون برأيهم.

فنحن قوم إذا نريد الصلاح في مجتمعنا وممارسة القيم العليا، فلا تجدي الكلمات الجوفاء الفارغة، إنما تحتاج كلمات تخرج من قلبك، تحتاج حقائق مبنية على إيمان، فأولاً: لن أمارس القيم العليا إلا تقرباً إلى الله، لن ألاحظ أحداً غير الله، لن يكون لي مقصد في ممارسة القيم العليا إلا الله.

فإذا فعلنا هذا -بنينا في أنفسنا الإيمان وفعلنا هذا الأمر-، ستجد ممارسة القيم العليا ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهرّاً، ستجد حتى تخفياً في ممارسة القيم العليا، يجمعون وهم متخفيون أموالاً من أجل أن يعطوا -مثلاً- العاملة الموجودة في المدرسة، من أجل أن يساعدها في شيء، تجد في قلوبهم من الرأفة والرحمة ما لا تجده عند غيرهم، ويتخفون في ممارسة أعمالهم، فهم قوم حركهم الإيمان.

أغلق هذه المقدمة بكلمة:

ما هو الإيمان الذي أحতاجه كقاعدة للقيم العليا؟

نأتي لهذه الحقيقة أيضاً ونجد علامة استفهام؛ فنحن أيضاً نتداول كلمة الإيمان كثيراً، لكن لما نريد أن نضع يدنا على كلمة الإيمان، نجد أنه لا زال يوجد فراغ في فهمها..

عندما نسأل: ما هو الإيمان؟ نقول: أركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، صحيح هذه هي الأركان، وهي عماد إيماننا، لكن نحتاج تقريبًا أكثر، ما هو الإيمان بالله؟ ماذا يعني أن أكون مؤمنة بالله؟

الإيمان بدايته أن أكون مصدق بهذه الأخبار التي أتتني عن الله؛ مصدق بأنني سألقى الله، مصدق أنه سيعطيني أجورًا على غصن الشوك الذي سأزيحه من طريق المسلمين، مصدق أنني سأرتفع في الدنيا والآخرة لو أنني سرت على الطريق المستقيم.

لكن ما الذي ينقصنا؟ الشعور، الشعور الذي يكون دائمًا حاضرًا، لأنكم تعلمون كلكم أن العبودية لها ركائز وركائزها: الحب والخوف والرجاء، رأيتم الحب والخوف والرجاء هذه كلها مشاعر، فالله وهبنا المشاعر من أجل أن نضع عليها الحقائق ونشعر بها، فلما تسمع خبر: أن الله قريب، أن الله مجيب، أن الله يسمعك، أن الله يراك، لا يحتاج الأمر أن مجرد تصدق الحقيقة، تحتاج أمرًا أعلى منه، وهو أنك تشعر بهذه الحقيقة، فإذا ناديت داعيًا كنت شاعرًا بقربه، لما ترفع من الركوع وتقول: سمع الله لمن حمده، تكون متيقنًا شاعرًا أنه يسمعك ويستجيب لك، لما تحمده في الفاتحة تكون شاعرًا أنك بعدما

تقول الحمد لله رب العالمين، يقول لك الله -خاصة أنت-: ((حَمْدَنِي عَبْدِي))¹⁶.

ما الذي حصل في الشعور؟ وُزِعَ مجاناً على توافه الأمور! فلما نأتي نبحث في قلبنا في الإيمان نجد أنه لا يوجد في قلبنا عملة الشعور، فُقدت، وُزعت، فما المطلوب منا الآن؟

مطلوب منا أن نللم مشاعرنا من السوق، لأن مشاعرك هي أدواتك التي وُهبته من أجل أن تكون مؤمناً، وإذا وجد الإيمان بمعنى وجد الشعور أنك لو كظمت الغيظ وفعلت كذا وكذا يحبك الله، وأصبح لديك شعور تجاه حب الله.

لو جمعت شعورك فقرأت الفاتحة، تشعر ما معنى أن يقول الله لك "حمدني عبدي"، لو وجدت شعورك ستعرف ما معنى أن تنتشي على ركبتك فتقول له: "التحيات لله"، تجلس ثاني الركبة بين يدي الملك، وتبدأ في الثناء عليه والطلب، ولذلك ناس كثيرون يقصرون في حق أنفسهم، بعدما يقرؤون التحيات والصلاة الإبراهيمية، يفوتهم أن الوقت الذي بعد هذا وقت استجابة دعاء، يفوتهم أنهم قبل أن يسلموا يدعون لأنفسهم من الأدعية الماثورة عن النبي صل الله عليه وسلم؛ وهي الاستعاذة من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة المسيح الدجال،

وفتنة المحيا والممات، ويدعون لأنفسهم بما يريدون، لأنك أثبتت على الملك، وحييته، وركعت له، وسجدت له، ثم جثوت على ركبتيك تقول له: كل التحيات لك، كل الثناء لك، والصلاة على رسولك محمد صلى الله عليه وسلم، والصلاة على إبراهيم عليه السلام، ثم اطلب منه ما شئت، اطلب من الملك العظيم ما شئت، لكننا نجد أنفسنا هذه اللحظات أسرع شيء في صلاتنا، وفقط نريد أن نقول "السلام عليكم ورحمة الله"، وغالب الناس -إلا من رحم ربي- يسلم ويتكلم مع الناس حوله مباشرة، وهذا كله بسبب فقدان الشعور أنك كنت بين يدي من؟! وأين ذهبت فرصتك في أن تطلب ما تريد؟!!

مثله شعورك وأنت نائم وتقلب، ثم يقال لك أنك لو تقلبت، حتى لو لم تُقم الليل، فقط تقلبت وقلت " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير..." يقول بعض السلف -عن هذا الموقف (موقف أنك تتقلب فتقول)-: في حقه يأتي قوله تعالى: {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ..}¹⁷ هدوا إليه لدرجة أنه عندما يتقلبون لا ينطقون إلا بشهادته، أين هذه المشاعر؟!!

هذه المشاعر ذهبت، حتى ونحن نقرأ أذكار الصباح والمساء، نفتح جواتنا لكي نفتح على أذكار الصباح والمساء، ونقرأ ونقرأ، ونقرأ

بألسنتنا؛ لأنه نحن الذين نقول: ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر، ثم نحن أنفسنا الذين لا نشعر بنعم الله، أو نتحاسد على نعم الله، أو نحتاج نعمة فنطلبها من غيره، هو ليس كلامًا فحسب! هي معاني مفهومة، ومشاعر محبوسة وراء الكلام، هذا هو الإيمان.

الإيمان: معاني تفهمها، ومشاعر تحبسها وراء الكلمات التي تتكلم بها، فمن قال أشهد أن لا إله إلا الله، هذا يقول: أنا ليس عندي إله أحبه وأعظمه إلا الله، ولهذا نرجع إلى الوراء، ونقول: أصلًا هذا الاسم العظيم (الله) ما معناه؟ وكم مرة تداولناه؟ وكم مره سألنا ما معانيه؟ سنجد أنه أيضًا الفجوة الجديدة المهمة، أننا لا نعرف من هو الله، فكيف سنملك مشاعر بدون علم، بل بجهل؟! فعلى ذلك تصبح سلسلة طويلة متصلة تبدأ بها أن تعرف من هو الله؟ الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، الله كامل الصفات الذي يستحق المحبة والتعظيم، إذا لم تعرف الله إذن أنت تعرف من؟!!

فالمقصود الآن: إذا عرفت الله، وآمنت به وصدقت، وشعرت، حينما تدخل في صراع في أي موقف ستنتصر القيم العليا لا بد، لكن لما تكون لا تعرف الله، ويوجد ضعف في الإيمان، وعندك حقائق تصدقها لكن لا تشعر بها، مهما دعوتك وقلت لك: في ذلك اليوم

الشديد والشديد، إذا أنت هنا في الدنيا عفوت، سيعفو عنك الملك العظيم، تقول: لا أنا سأقترب لربنا من أيّ باب إلا من باب العفو، هكذا باستهانة، أنت لما يأتيك موقف لا بد فيه أن تعفو، لا بد أن تعرف أنك عندك مرض والله عز وجل وضع لك هذا ليخرج لك الحقيقة، فإذا لم تمارس القيمة العليا، معناه أنك ترجع إلى الوراء.

على كل حال نحن ما كنا نريد أن نطيل في المقدمة لهذه الدرجة، لكن لا بأس؛ لأنها هي الأساس في فهمنا لموضوع القيم، يعني هذا الفصل الدراسي عندكم الصدق، الفصل الدراسي القادم عندكم الحلم، ستأتيكم كل سنة مجموعة قيم، القيم ليست كلامًا أقوله ولوحات أنشرها في المدرسة، وهيا يا بناتي قولوا في الإذاعة ما هو الصدق، وأتكلّم، ثم اذهبوا إلى بيوتكم وانتهينا، لا، ليست هكذا تبني القيم أصلاً، القيم لا بد فيها من تحريك الإيمان أولاً، ومعرفة أن ممارستنا للقيم هي تعبد وتقرب إلى الله، ثم أفهم هذه القيمة، أفهم ما معانيها الدقيقة، على كل حال كما اتفقنا لو نحن استطعنا في هذا اللقاء نخرج بمعنى القيمة سنكون أنجزنا الحمد لله، أسأل الله عز وجل التوفيق لي ولكم، وشرح الصدر، وبيان الأمر فيه وفي غيره، نبدأ باسم الله.

السؤال للجميع وخاصة للورشة: ما دمت أريد أن أتكلّم عن قيمة الصدق، أكيد أول سؤال سأسأله: ماذا تعرفين عن الصدق؟ ما هو

الصدق في وجهة نظرك؟ ما معناه؟ الجماعة الذين في الورشة ابدؤوا بالإجابة، وسنأخذ الإجابة من الورشة، وإجابة من بقية الجمهور.

ما هو الصدق؟ هو مطابقة القول للفعل، وهو خلاف الكذب.

الآن هذا الذي مشهور عن معنى كلمة الصدق؛ أنه مطابقة القول للفعل، أو القلب للقول... إلى آخره.

نقرأ كلام ابن فارس، قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة -أنا الآن أريد أن أعرف معنى كلمة، فأبحث في اللغة أولاً-

قال: "الصاد والదال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، ومن ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، فهو باطل، وأصل هذا من قولهم: شيء صدق، أي: صلب، ورمح صدق يعني: رمح صلب، ويقال: صدقوهم القتال، وفي خلاف ذلك يقال: كذبوهم".

إذن معنى ذلك ما هو أصل مادة الصدق؟ القوة والصلابة.

على ذلك ماذا يصبح مثلاً معنى الصديق؟

ماذا تعني الصديقة؟

لما تسمعي كلام النبي صلى الله عليه وسلم: ((الْصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ))¹⁸
يعني: دليل قوي على إيمان العبد.

إذن الأصل في كلمة "الصدق": القوة، لكن ها نحن نستعملها دائماً في كلامنا؛ نقول هذا كلام صدق، هذا كلام كذب، فماذا نريد أن نقول؟ في تاج العروس، قال: "الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه"، هذا المعنى المتداول بيننا، لكن أصل كلمة صدق أتت من قوة، إذاً ماذا أصبح معناها؟ أريد منكم أن تجمعوا بين أن أصل كلمة صدق هو القوة وبين استعمالنا لها.

أنت الآن عندما تتكلمين كلاماً صحيحاً، تقولين: هذا كلام صدق، ماذا يعني؟ معنى ذلك أن العبد حين يتكلم ويكون صادقاً في كلامه، سيكون قوياً، حينما يفعل ويكون صادقاً في فعله، سيكون قوياً، فوقت مطابقة القول الفعل، أو القول الضمير سيكتسب هذا القول القوة.

وسنزيد الأمر بياناً؛ عندما يقول أحد: (رمح صدق)، يعني هذا الرمح صلب قوي، إذا سددته يبلغ الهدف، رمح صدق.

وإذا قلنا هذا (صداق المرأة) يعني حقها، اربطها بالقوة -فأصل كلمة صدق يعني قوة-،  قوة لزومه، الصداق سمي صداقاً؛ لقوة

لزومه على الرجل، يلزمه أن يقدم الصادق، فأصبحت كل الكلمات التي يدور حولها الصدق، تدخل في معنى القوة.

إلى أن يأتي قوله تعالى: {..وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ..}¹⁹ إلى أن تصل {وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا}²⁰ إلى أن نصل {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مٰلِكٍ مُّقْتَدِرٍ}²¹

هذا كله يدور حول معنى القوة، ثم هذه القوة تحولت إلى لزومها بالكلام خاصة، بمعنى أن الصادق في كلامه كان قويًا في ملاحظة كلامه والواقع الذي يقوله، بحيث أنه يكون قويًا في طلب المطابقة بين ما يقول وما يريد، بين ما يقول وبين ما وقع.

الآن ذكرنا: يقول ويريد، يقول ويقع، سنضرب مثالًا من أجل أن نتصوروا:

افترضني هذه المرأة تجلس مع أخوات زوجها، وأخوات زوجها متفقات على أنهن يفعلن شيئًا تعرف هي أن هذا الشيء يخالف رأي زوجها، فزوجها لا يعجبه هذا الفعل من أخواته، فهي تعيش معهن الموقف، وتشاركهن الكلام أحسن ما يكون، ثم تذهب إلى البيت،

¹⁹ [يونس:2]

²⁰ [الإسراء:80]

²¹ [القمر : 55]

فتنقل كل الكلام الذي حصل، لا تنقص منه كلمة، ولا تزيد عليه كلمة، يعني قالت الحق، طابقت الواقع، فهل تحكمين على كلامها أنه صدق؟ لا.

لماذا لا؟ هي كل الكلام الذي حصل بالتفصيل نقلته وما زادت ولا كلمة، إذن الصدق ليس مطابقة الواقع بإطلاق — أي ليس مطابقة الواقع فقط—، فلا بد أن يكون فيه أمران مع بعضهما: لا بد أن يطابق الواقع ومرادك، يعني أنت تقول كلامًا، ولا بد أن يكون هناك قوة في المطابقة بينه وبين أمرين؛ الواقع الذي حصل، والمراد الذي تريده.

يعني انظري طفلة صغيرة الآن معها حلاوة، فتقول لها صديقتها: أعطيني، تقول لها: لا، هذا يضرّ أسنانك، هل يضرّ أسنانك هذا خبر صحيح أم لا؟ خبر صحيح؛ لأنه نحن طوال الوقت نقول لهم هكذا، لكن لماذا قالت هذا الكلام؟ ماذا تريد من وراءه؟ تريد من وراءه مصلحتها، يعني هو بخل، لكنه عُبر عنه بصورة مؤدبة، والكلام الذي تقوله صحيح ليس خطأ، لكنه يخالف الإرادة، والمراد.

يعني كم من المرات استعملنا كلمات صحيحة مائة في المائة، لكن على مرادات باطلة، واسمع الله عز وجل ماذا يقول عن المنافقين: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ..} ²² يعني جملتهم

هذه تتكون من شقين {نَشْهَدُ} و {إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} فجواب الله أتي جوابين {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ} على معلومة أنه رسول

{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} كذبوا في ماذا؟ المعلومة التي قالوها صحيحة! إذن هم لم يكونوا صادقين بمعنى: ما طابق كلامهم بقوة ما شعروا به، فيكون في القلب شعور، أو هدف، أو إرادة، ويأتي كلام صحيح لكن الإرادة لا تنطبق عليه، يكون هذا اسمه كذب.

نريد مراجعة في ثلاثة خانات: هل الكلام الذي نقوله له قوة في مطابقة الواقع؟ وله قوة في مطابقة الإرادة الصحيحة؟ يعني من زاويتين ترى المطابقة، ليس فقط أن الكلام يطابق الواقع، لكن أيضاً هناك إرادة، مثلاً تقول لزميلتها: "والله أنا ناصحة"، الله عز وجل يصف هؤلاء {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..} ³ ثم فوقها أيضاً {.. وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ..} ²³

يعني يقول والله ربنا يشهد أنني لا أريد إلا النصح، ثم يصفه الله عز وجل بوصف، يقول: {.. وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} ²⁴ ما صفة هذا؟

²³ [البقرة : 204]

²⁴ [البقرة : 204]

الكذب، هل هو يقول كلامًا غير حقيقي؟ لا، هو يقول كلامًا حقيقيًا، لكن إراداته فاسدة.

مثل ما جاء في سورة التوبة؛ يأتي ذاك المنافق ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج إلى غزوة تبوك، أن اعذرني، لا أستطيع أن أخرج لأن بنات الأصفر يفتنني، انظري كيف تلميع الصورة، يلمع صورته، الآن هو يريد أن يتخلف عن الجهاد، هذه الحقيقة، تخلف يا أخي، لكن لا يريد أن يتخلف وتظهر صورته سيئة، فيتخلف، ومع إرادة التخلف يجمع معها أنه لا بد أن تكون صورته أمام الناس حسنة، فإذا سئل: لماذا تخلفت؟ قال: "لا أريد أن أفتن، لا أريد أن أذهب عند الروم، وأرى بنات الأصفر وأفتن، وأقع في الزنا"، يعني يمثل دور التقي، وهو الله عز وجل يقول عنه: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} ²⁵

إذن أمر الصدق أمر خطير، ليس مجرد كلمة أقولها، إنما هي قوة في القلب، فيها قوة مطابقة بين الكلام الذي أقوله والواقع، والكلام الذي أقوله وإرادة الكلام، أصبح من جهتين.

نأتي بالجهة الثانية: قوة مطابقة بين الكلام الذي أقوله والواقع، يعني نحن ممكن نقول: هي أعطتني الأشياء، أو ممكن أقول: أنا قلت

لها: هات أنا أوصلها، أليس هناك فرق بين الكلمتين؟ نأتي بالموقف من أوله:

- ذهبت عند المديرية، وأعطيتها الأوراق،
- تقول: أنا ما طلبتها منك أنا طلبتها من فلانة،
- تقولي لها: أنا رأيته في الممر، وقالت لي خذي وصلها.

على أن زميلتك لا تريد أن ترى وجه المديرية، هذا الذي ممكن أن يقع في القلب، والحقيقة أنك لما رأيته، قلت لها: أعطيني أنا أوصلها عنك، والحقي حصتك، فانظري في النهاية أنتما تقابلتما وأخذت منها الأوراق، هذه نهاية الحدث، لكن الحقيقة أنه ما حصلت قوة في مطابقة الكلام.

الآن أنتِ ليس عندك إرادة سيئة، إرادتك طيبة وليس عندك أي شيء، لكن من كثرة أنني أنا ما أركز أن هناك فرق بين أنني قلت لها: أعطيني أنا أوصلها، وفرق بين ذلك وبين أنها هي تقول: خذي وصلها، أشعر أن الاثنين مثل بعض، ففي النهاية وصلنا الأوراق، ثم حينما ندخل في نقاش طويل، وزميلتك هكذا قالت، ونأتي بك، تقولين: "ماذا يعني؟! أنا قلت أو هي قالت كله سواء"، لا ليس كله سواء، هناك كثير من التفاصيل تهدم بيوتًا بسبب هذه الملامح التي ليست فيها قوة في المطابقة.

إذن نحن نحتاج قوتين في الصدق، طبعًا الصدق ليس فقط في الأقوال، لكن هذا أسرع شيء يأتي في أذهاننا: أن الصدق متصل بالقول، الصدق ليس متصلًا بالقول فقط، وسيأتينا أحوال الصدق بعد ذلك، لكن الآن أول كلام نتفق عليه أن الصدق أصلًا معناه: القوة، ولذلك العرب تقول: رمح صدق، سهم صدق، قتال صدق، مبدء صدق، مقعد صدق، مدخل صدق، هذا كله معناه أنه قوي، وكل واحد فيه قوة مختلفة عن الثاني، لكن كل شيء يريدون أن يمدحوه، ويقولون عنه أن له قيمة يقولون عنه صدق.

فإذن الصدق أصله القوة، ثم نقول نقرّبها في الكلام، وإن كان يمر علينا الآن كل أنواع الصدق، في الكلام يجب أن تكون قوة في أمرين: في مطابقة الكلام الذي أقوله بالواقع، وفي مطابقة الإرادة التي أظهرها للإرادة التي تكون في قلبي.

ولذلك حينما نقول ما النصيحة؟ تريدين أن تنصحي أحدًا بكلام جميل، ما هي النصيحة؟ هي توجيه وإرشاد إلى الصواب، ويكون القلب صادقًا في إرادة النصيح، لأن كم نصح أتى باسم النصيح لكنه شماتة، كم نصح أتى والعبد يريد أن يتكشف أسرار غيره، تقول: أنا أرى عليك ملامح أنك مرهقة وتعبانة، فتتصحها من أجل أن تأخذ منها الكلام.

كم مرة استُشرنا في استشارات، وأتى الذي يكلمنا يريد مني استشارة، فأقابله بأسئلة؛ أسأله أسئلة ليس لها علاقة، فقط حب استطلاع، رأيت أَيْنَ الصدق؟ الآن الأسئلة التي تسألونها الشخص الذي يستشيرك، وليس للاستشارة علاقة بها، هذا اسمه أسئلة كذب، هل واضح كيف تتفرع مسألة الصدق؟ إلى أن نصل إن شاء الله في وسط الكلام إلى الصدق مع الله.

حل الورقة:

أولاً: الصدق معناه القوة.

بعد ذلك لما قرأتم في تاج العروس كان الصدق: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه.

القول الذي تقولينه له زاويتين: مثل ما ذكر:

*الضمير: يعني الذي في قلبك.

*المخبر عنه: يعني الذي في الخارج.

الآن المطلوب أن تجمع القولين معاً:

1-الصدق هو القوة.

2-الصدق هو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه.

إذن الصدق هو القوة في المطابقة.

يعني ليست أيّ مطابقة بين ضميرك والواقع وبين الكلام الذي تقولينه، لا بد يكون هناك قوة في هذه المطابقة، فحين تُطالبين بالقوة، لا تقولي أنا أشعر أن هذه حساسية زائدة، أشعر أن هذا تدقيق زائد، أشعر أن هذا تعقيد، لا، لا بد أن يكون هناك قوة في المطابقة بين الذي تقولينه وبين الواقع، وبين الذي تقولينه وبين الذي في قلبك، لا بد من القوة في الأمر من جهتين.

يقابل الصدق الكذب المعلوم، الكذب الآن ما تعريفه على هذا؟

[رد الحاضرات: مخالفة الكلام للواقع، ومخالفته للإرادة]

هذا لو كان قويًا، على كل حال كما أن الصدق القوة، إذن الكذب سيكون الضعف والباطل، وسنرى لما نأتي إلى مجالات الصدق، سنرى ماذا يقابله، لكن لا تنسوا أبدًا أن الصدق هو القوة، فأيّ شيء يوصف أنه صدق لا بد أن يكون فيه صفة القوة، ولذلك سمي أبو بكر الصديق صديقًا، لأنه كان قويًا في تصديقه، هو اشترك مع الصحابة في التصديق، لكنه اختلف عنهم في قوة صدقه، صديق لأنه قوي في تصديقه.

[سؤال من الحاضرات -غير واضح- وكان رد الأستاذة: الصديقية مرتبة عالية مبنية على قوة الإيمان، المطابقة هذه تأتي في الحديث عن الكلام، وسيأتينا أن الصدق له مجالات].

لماذا سمي صديقاً لقوة تصديقه، فأنا أريد كلمة قوة:

- يعني الصديق سمي صديقاً لقوة تصديقه،
- الصدقة سميت صدقة لقوة برهانها على الإيمان،
- مبوء صدق لبني إسرائيل يعني كان مكاناً صادقاً في ارتفاع منزلتهم، شاهداً صادقاً على ارتفاع منزلتهم عند ربهم،
- فالكلمة دائرة حول القوة، حيثما تأت عند كلمة الصدق يعني تدل على القوة، قوة الإيمان، قوة وسرعة قبوله للحق، هناك تفاصيل، لكن المادة الأساسية هي القوة.
- ننظر إلى تعريف الصدق في الشرع، يعني استخدامات القرآن لكلمة صدق:

ورقة العمل رقم 3 بالنسبة لكم، السؤال للجمهور:

قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ

وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا^ط وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا^ط وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} ختمت هذه الآية بقوله تعالى:
 {..أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}²⁶

الله عز وجل قال عن هؤلاء أنهم صادقون {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا}،
 ما صفات هؤلاء التي بها سماهم {الذين صدقوا}؟ عدوا صفاتهم من
 الآية:

- أولاً الإيمان: الإيمان بما يشمله -الإيمان بالله واليوم الآخر
 والملائكة والكتاب والنبیین-
- إعطاء النفقات الواجبة والمستحبة،
- إقام الصلاة،
- وإيتاء الزكاة،
- والوفاء بالعهد،
- والصبر.

مرة أخرى سنقول: رأسها الإيمان بالله، ثم يأت براهين على هذا
 الإيمان؛ إيتاء المال وإقام الصلاة، إيتاء المال وإيتاء الزكاة، هذان

أمران مختلفان، إيتاء الزكاة أي الواجبة، وإيتاء المال يعني الذي فوق الواجب، وإقام الصلاة، والوفاء بالعهد، والصابرين في البأساء والضراء، الله يقول عنهم {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا}.

الآن السؤال: كيف يوصفوا بوصف الصدق هنا؟ يعني ما معنى الصدق في هذه الحالة؟ صدقوا في أي شيء؟ نبدأ من كلمة قوة، صدقوا في أي شيء؟ {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} يعني صدقوا في إيمانهم، بمعنى أن إيمانهم قوي، أولئك الذين صدقوا يعني كان إيمانهم قويًا، قوة الإيمان ترتب عليها هذه الأعمال.

لو جننا أخذنا نموذجًا واحدًا فقط، وقلنا أنه عندما يقوى صبرك هذا دليل على قوة صدقك في إيمانك، وعندما يضعف صبرك هذا دليل على ضعف قوة إيمانك، يعني نضع أمامنا الآن هذا المقياس، نضع هذه الأعمال ونقول: إذا تحققت هذه الأعمال في إنسان بقوة، هذا دليل على أنه صادق في إيمانه، إذا ضعف تحقق هذه الأعمال، دلّ هذا على ضعف قوة إيمانه، إذن الصدق لا يكون فقط في الأقوال، ونجد في الآية كلها ما ذكر قول، إنما هو -الإيمان- اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، دلوا على قوة إيمانهم بأعمالهم في جوارحهم.

إذن معنى ذلك وسعي دائرة الصدق، الصدق ماذا سيكون؟ أقوال -وهذا المشهور عندنا أن الإنسان الصادق هو الذي يطابق قوله ضميره، ويطابق قوله الواقع-، ثم هنا ماذا أضفنا إلى ذلك؟ من الذي عند الله اسمه صادق ويمدح على الصدق؟ القوي، القوي في إيمانه والذي برهن على قوة إيمانه بالعمل الجارحي، معنى ذلك أن هذا صدق مع من؟ صدق مع الله، {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} يعني صدقوا مع الله، معنى هذا أن الصدق يأتي في الأقوال، والصدق يأتي في الأحوال، أي في أحوالك، ليس كل عبد صادق في أحواله، يوجد عباد صادقين في أحوالهم يعني أقوياء في إظهار إيمانهم، وعباد ضعفاء في إظهار إيمانهم.

إذن، بجملة مختصرة، ما هو الصدق مع الله؟ أريد الصدق مع الله تحريره كحركة قلب، ما معنى أن تقولي عن شخص أنه صادق مع الله؟ أريد أن أعرف حركة قلبه وقت الصدق مع الله؟

أقرب الكلام ربما يظهر: الآن لو أتينا نقول الحج، الحج هذا المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، لماذا؟ لأن الحج مكان لإظهار الصدق، من كلمة الحج ستفهمين معنى الصدق مع الله، ما معنى كلمة (الحج) في اللغة؟ الحج هو القصد، وفي الشرع يصبح القصد إلى معظم، الصادق الآن مع الله ما حركة قلبه؟ الصادق قوي في أن

يكون مقصده الله، -ليس بعد هذا التفصيل الدقيق تقولين النية، وتذهبي هناك عند أول الكلام وتقولين النية التي يشترك فيها المسألة الفقهية والمسألة الحكمية لا، تسمعين كلامًا دقيقًا، هذه إضافة على شيء واسع، نحن نقول نياتنا، ونياتنا هذه الحركة نفسها ما نعرف نضع يدنا عليها-.

أنت الآن في كل موقف لك مقصد، في كل تصرف لك مقصد، خفي عن الخلق ويطلع عليه الربّ، أنا الآن معلمة دين، افترضني أنني واقفة أتوضأ، فتحت الماء، ثم دخلت عليّ طالبة، قبل أن تأتي كان الماء ينزل عاديًا، فلما دخلت عليّ الطالبة، لاحظت دخولها، فأخفض الماء -اقتصادًا في الماء، والمفترض ألا أسرف-، هذا ما اسمه؟ أين كنت قبل دخول الطالبة؟! ماذا كان مقصدك حينها؟! أين أنت بعد أن دخلت؟ وأين كان مقصدك؟ بكلام دقيق جدًا، القصد هو (ماذا تريد؟) ولذلك لا ينجو إلا من كان صادقًا مع الله، صادقًا مع الله معناها أن يكون قصدك الله في دقيق عملك قبل جليله، قصدك الله تفكر في رضاه، قصدك تقصده بقلبك.

وهذا معنى القصد، فهو ليس بالأمر اليسير، أما من جهة الدعوة فما أسهلها من دعوة، كل الناس يقولون قصدنا الله، وما أسهل الذين

يكتبون في آخر كل خطاب "والله من وراء القصد"، ما أسهل كتابته،
لكن هل حقًا الله من وراء القصد؟

نفترض الآن أنا طالبة صوتي جميل، وأعرف أن هؤلاء جماعة يحبون الدين ويحبون القرآن، أريد أن تكون لي مكانة، فماذا أفعل؟ أقرأ القرآن، وأدخل في مسابقات حفظ القرآن، والمقصد (أنا)، يعني (أنا) اعرفوني، أنا صوتي جميل ... إلى آخره، قائمة من المقاصد! وانظري الخطر، قائمة من المقاصد تختبئ في ال وراء، والمقصد المعلن هو الذي كلنا نردده: "نريد أن نتقرب إلى الله بحفظ القرآن"، نضع مقصدًا جميلًا في الواجهة، وبعد ذلك هناك مقصد خفي وراءه، هذا المقصد الخفي يمر على خاطر، لكن أنا أقوم بعملية تسكيت، كأنني أقول له: اسكت، ثم أردد على نفسي: حفظ القرآن، وفضل حفظ القرآن، والمنزلة في حفظ القرآن وأردد، فيصبح حافظًا، ولا يوجد أي أثر لحفظ القرآن عليه، لماذا؟ لم يكن مقصده الله، لكن أعلن بكل صوته أن مقصده الله! ليس هذا.

ولذلك انظري في سورة الحديد، تلك السورة الخطيرة من افتراق المؤمنين عن المنافقين، يسرون معًا ثم {..فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ

بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ...} ²⁷.

أين الشاهد؟ الشاهد أن مطلع هذه السورة -التي فيها هذا الأمر- تكرر فيها الكلام عن علم الله أكثر من ثمانية مرات، السبب: أن الشعرة بين النفاق والإيمان لا يطلع عليها إلا الله، لماذا؟ لأن الصدق مع الله أمر غاية في الصعوبة، أنك تكون صادقًا حقًا، أي أعمالك شواهد على إيمانك، وليس أعمالك شواهد على مجرد قبولك للمجتمع {.. أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى..} ، معكم يعني أنا في مجتمع تربى على أن يترضى على المستقيمين، يترضى على حفظة القرآن، يترضى على أصحاب القيم العليا، يترضى على الذي يلبس هذا في حجاب، فماذا أفعل؟ أكون مع القوم، لكن لا يوجد صدق إرادة رضا الله، لا يوجد صدق القصد لله.

الآن مثلاً أنا أدرس علومًا شرعية، وأحب تدريس العلوم الشرعية وأتميز فيها، وشهاداتي دائماً امتياز...إلى آخره، ثم مع كثرة التميز غابت الإرادة، غاب قصد الله، ظهرت الأنا، أصبحت أريد أن أحقق ذاتي، أتاك الكلام عن الإنجازات، التي أصبحت كأنها حائل بين

الناس وبين قصد الله، إذن الصدق ليس أداة تصف بها الكلام! الصدق قبل أن يكون في الكلام، صدق في أحوال العبد مع الله.

ولذلك لا تسأل عن عبد غاية في الانكسار والذل بين يديّ ربه، ولم يشتهر بشأن، لكنه عند الله عزيز وله مكان، والسبب: قصده، وصدق توجهه إلى الله، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ذات يوم في السوق، وكان هناك أحد الأعراب الذين يترددون من البادية: ((وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ الرَّجُلُ أَرْسَلَنِي، مَنْ هَذَا؟ فَالْتَفَتَ، فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟" فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا وَاللَّهِ تَجِدْنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتُ بِكَاسِدٍ" أَوْ قَالَ ((لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ))²⁸ لماذا غال؟ وهو لا مظهر ولا مال، لماذا؟ لصدق قصده لله، يعني كم من الناس في الدنيا صورتهم أنهم دنيين في مرتبتهم، وهم عند الله لهم

مكانتهم، ما السبب؟ السبب شيء واحد: صدق مقصدهم، بمعنى قوة قصدهم لله.

إذن أول وأهم شيء نتكلم عنه في الصدق ليس أن نقول الصدق بالسنتنا، القول أن الصدق بالسنتنا هذا يأتي آخر شيء، فهو النتيجة، لكن الصدق يبتدئ من الصدق مع الله، والصدق مع الله عز وجل سيخرجني مباشرة إلى نوع جديد وهو الصدق مع النفس،

من هذا الذي يكون صادقًا مع الله؟ الذي يصدق مع نفسه، يصدق مع نفسه يعني -نعيد ذلك المقطع الذي يقول- أن النفس هذه تدور فيها مقاصد، يدور في القلب مقاصد، يوجد مقصد معلن لا أستحي من إعلانه، ويوجد مقصد خفي، أحيانًا أخبئه حتى عن نفسي، وقد يمر عليّ فأتجاهله، فالصادق مع نفسه هو القوي في تفتيش مقاصده، والكذاب مع نفسه هو الذي يجعل المعلن يغطي الدسيسة.

واعلم أن توفيق الله للعبد مبنيّ على صدقه مع نفسه، ما معناه؟ يعني أنت تكون الآن عندك نية فاسدة خبأتها بنية صحيحة، لا يوجد أيّ أحد مكتشفها، وبعد ذلك تقوم بعمل الناس كلهم يوافقونك عليه، ولا توفّق فيه، ما السبب؟ أن الله مطلع على نيتك الفاسدة.

نضرب مثالاً، الآن افترضني عندك أموال صدقة، وعندكم عاملة في المدرسة، أخذت أموال الصدقة، أو أموال الزكاة وأعطيتها للعاملة، هذا يصح، لا يوجد مشكلة، لكن وقتما أعطيتها العاملة كنت تريد بنية خفية أنها تخصك بمزيد عناية، ← مباشرة تخذلين، وتصيرين أنت من دون الناس لا تخدمك.

تكوني راكبة مثلاً مع سائق يوصلك ويأتي بك، ويكون عندك مال زكاة أو صدقة وتعطيه، أو مثلاً هو يقول لك أنا زوجتي في المستشفى للولادة وكذا...، فتشفقين عليه وتعطينه، يوجد نية معلنة ونية خفية، أمّا المعلنة فهي الصدقة، وأمّا الخفية لكي يزيد خدمة لك، وبعدما تعطينه، ويوصلك عند الباب، يقول لك: عذراً يا معلمة اليوم آخر يوم أوصلك فيه، انظري ماذا ستقولين؟! الذي يفهم تربية الله سيتعلم، والذي لم يفهم القصة يقول: أنا أستحق أصلاً ما حدث لأنني أعطيتك، لكن هذا كله في الداخل، لا يوجد كلام معلن، ونحن نشعر أنه ما دام لا يوجد كلام معلن إذن لا توجد مشكلة، من قال هذا! كل القصة أنه لم يخرج على لساني.

الشيء المعفو عنه في الشريعة هو ما مر على خاطر ولم يستقر، لكن ما تحدثت به النفس ودار واستقر وتفكر فيه فهو من الأمور التي تحاسب عنها، وإلا لو سألت: ما الحسد؟ ما الكبر؟ ما العجب؟ كل

هذه عبارة عن حركة في القلب، فلا تعطي نفسك وسم (ما دام أنه في قلبي ولم أتكلم به)، من قال هذا الكلام؟! هناك شيء يسمى الإرادات المستقرة.

انظري كيف أن أصحاب الجنة لما اجتمعوا في الليل وتقاسموا {...} لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ* فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ²⁹ يعني هل ذهبوا ليفعلوا أم لم يذهبوا؟ لم يذهبوا ليفعلوا! إنما اجتمعوا بقلوبهم على أن يفعلوا هذا الفعل، فقبل أن يقع فعلهم حوسبوا على ما قام في قلوبهم.

بلد مثل هذا البلد العظيم، الذي يحبه الله، اختصه الله من دون الأراضى بالمحبة، يقول في تعظيمه الله: {...} وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ³⁰ إرادة قامت في القلب، ولذلك ابن مسعود يقول: لو أن رجلاً في عدن أراد الإلحاد في الحرم عوقب وهو في عدن..! يعني الإرادة.

فانظري كيف نحن ختمنا لأنفسنا ختمًا أن الذي لم نتكلم به ليس به مشكلة، ونحن نكون من الداخل فعلنا خلطة لا يوجد فيها صدق مع النفس، وكما اتفقنا ما هو الكذب على النفس؟ قصد معلن وقصد

²⁹ [القلم: 17-19]

³⁰ [الحج: 25]

خفي، القصد المعلن هذا أقدر أقوله في أي مكان؛ مثل عطية الناس والإنفاق عليهم والصدقة، والخفي مثل إبراز النفس وظهورها...، مصالح أيًا كانت.

ماذا نفعل في أنفسنا؟ مع كثرة ما أصبح نمط الحياة سريعًا في كل شيء، لا نعطي أنفسنا فرصة نفتش ما هو الذي بداخلنا؟ ولذلك لا تحسب أنك ستترك، سيأتينا مباشرة آية العنكبوت {الم* أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} ³¹، ستأتيك المواقف التي كأنها تعصرك عصرًا، يعني يأتي الناس مثلاً من أهل الدعوة يقولون: نحن لا يهمنا يحضر لقاءنا واحد أو عشرة أو مئة أو ألف، أهم شيء أن يستفيد الناس، غداً يتفقون معك ويأخذون من وقتك ثلاثة أيام، ثم تجد مثلاً كنت منتظرًا أن يأتي إليك خمسون، لكن يأتي إليك من الخمسين خمسة، فأنت تقول مباشرة: أعتذر عن اللقاء أعزائي، لأنكم فقط خمسة! ألم تقل بالأمس في محاضرة طويلة عريضة لنفسك: أنه لا يهمنا العدد، ما يهمنا كم يهتدي، ((..لأنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا..)) ³² هذه الخطب الرنانة التي نقولها التي في الظاهر هكذا، تأتي المواقف وتبين الحقائق والجوهر.

³¹ [العنكبوت: 1-2]

³² متفق عليه

بهذا اتفقنا؛ عندي نوعان من الصدق: الصدق مع النفس، والصدق مع الله، بعد هذا النقاش والكلام: من يسبق من؟ يعني كيف تعرفين الصدق مع الله؟ بالصدق مع النفس، أنت الآن تقولين **الصدق مع الله هو قوة قصد الله**، يعني وأنت في الموقف عندك قوة في أنك تقصدين الله بهذه الطاعة، تقصدين الله بهذا التصرف، لا تريدين إلا الله، حسنًا، أنا ممكن أقول لنفسي أي أنا لا أقصد إلا الله، أستطيع أن أقول هذا الكلام لنفسي، نقول: لا، قبلها لا بد أن يكون هناك صدق مع النفس، صدق النفس هذه معناها: تفتشين وتضعين يدك على **إرادتك الحقيقية، ماذا تريدين؟**

نحن ماذا نفعل لأنفسنا؟ كلنا -صغار وكبار- نفعل لأنفسنا هكذا: نضع إرادة لامعة نستطيع أن نصرح بها، ونضع وراءها إرادة تكون هي أصلًا الباعث الحقيقي، إرادة لا نستطيع أن نصرح بها حتى لأنفسنا، وتدور الأيام، وبعد ذلك تصبح الإرادة اللامعة الكاذبة أنا أصدقها بنفسي، يعني أعيش أعيش إلى أن أصدق الكذبة، فيعيش الإنسان الذي يصدق هذه الكذبة إلى أن يجد نفسه أين؟ يجد نفسه هناك يقول **{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى...}**³³ وهذه الإرادة الخفية -يعني أنا عندي واحدة لامعة وعندي واحدة وراء مدسوسة-

هذه المدسوسة يقول عنها أهل العلم: "دسائس القلب توجب سوء الخاتمة"؛ لأنها في الداخل، القلب مليء بالدسائس، لا يصدق في هذا ولا يصدق في هذا، وفي النهاية ← قلب مليء بالدسائس.

ولذلك الذي لا يتدرب أن ينظر إلى قلبه، يفتش ما مقصده في كل تصرف، سيتوه في الدنيا، ويصدق نفسه أنه ناجح، وهو ممكن يأتي يوم القيامة كأمثال الذر يدوسونه الناس، لا يدري.

تقول إحداهن: أنا لست متكبرة، ولا أحب المتكبرين، وانظري كيف أنا متواضعة أجلس مع العاملات وكذا... أضع لنفسي مقاييسًا وأقول أنا متواضعة، ثم بعد ذلك لما أحد يدوس على طرفي، ويقول لي كلمة، يخرج الفجور ((...إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ))³⁴ يتكلم بكلام لا يطاق، وهو هذا الذي كان يمدح نفسه ويقول أنا متواضع.

تعالَ إلى الحسد الذي يسبب لنا مشكلة، يكاد يكون هذا مثل الغيوبة التي نعيش فيها، نرى أن الناس يحسدونا، هذا يحسد هذا، وهذا يحسد هذا، وأنا خائفة على نفسي من الحسد، ولا أفكر أنني أنا ممكن أكون الحاسد، لماذا؟! بمناسبة ماذا لا أكون حاسد؟! طيب الآن الناس كلهم يخافون من الحسد، في النهاية مَنْ الحاسد يصبح؟! إذا

كلنا خائفين من الحسد، مَنْ الذي حسدنا؟! لا يوجد إلا الثقلين الآن،
فندهب للثقل الثاني...! ماذا نفعل؟!!

هذا كله تعرفون لماذا؟ لأننا نحن أصلاً لسنا مشخصين ما هو الحسد، أتعلمون ما هو الحسد؟ نحن نقول: تمنى زوال النعمة عن الغير، ما أحلانا في الخطب، ونردد كلاماً محفوظاً، فما هو تمنى زوال النعمة عن الغير؟ هل تعرفين حينما تسمعين خبراً عن غيرك فيه خير، ويحصل في قلبك غصّة، هذا هو الحسد، يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب إذا لم تدافعه، إذن دافعه، هل الحسد يحتاج ساعة؟ لا يحتاج ساعة، مجرد غصتك على نعمة غيرك يعتبر حسداً.

أرأيتم ما هي المشكلة؟ أنه يوجد أمراض كثيرة، توجد مشاكل ونحن جالسين نضع تلميعاً للذات، نلمع أنفسنا، ولا أريد أخرج من أيّ موقف إلا وأنا صورتني حسنة.

مثلاً لماذا يا فلانة أنت غائبة؟ وتكوني غائبة لأنك ذاهبة إلى زيارة، أو عند أمك، أو ذاهبة مع أمك لعرس، فتقولين: انظري كيف بر الوالدين يا معلمة، بر الوالدين، أنا أمي هذه... وتعطيني محاضرة في بر الوالدين، من أجل أنها لما تغيب تكون صورة غيابها شرعية، يعني أنا أقوم بعمل شريف، فلتغيبني لأيّ سبب، ولا تلمعي نفسك طول الوقت، فالآن نحن في اتجاه عام وثقافة متجهين

إلى صورة تلميع الذات، طول الوقت نلتمع أنفسنا من أجل أن نبقي أمام الناس صورتنا حسنة.

الصدق أن يشغلك مكانك عند الله، هذا الصدق مع الله، أنا مَنْ عند الله؟ ليس أنا من عند الناس؟ لن ينفعوني الناس، أنا سأدخل لوحدي قبوري، وكل واحد فينا سيدخل قبره لوحده، وأنت أصلاً قبلما تدخل قبرك طوال الحياة لا أحد يعاملك على الحقيقة إلا الله، هو الذي يعطيك ويمنعك ويرزقك ويجبرك ويسترك، هو وليس أحد من الخلق، لماذا تحمل همهم؟!

ابحث عن نفسك مَنْ تكون عند الله، ولذلك خفاء مفهوم الصدق جعل الإنسان يعطي نفسه إشارة صح أنه صادق، وهو ممكن أن يكون مدفوناً في الكذب! والسبب كذبه على نفسه وكذبه على الله.

إذن ثلاثة أمور: كن صادقاً مع نفسك، مع الله، ثم في الأخير ستكون صادقاً مع الناس، لأن كل تفكيرك الله ينظر إليّ الآن؛ ماذا أقول ماذا أتصرف، فيصبح صدقك مع الناس ناتج صدقك مع نفسك ومع الله، ترجمة لهذا الصدق الموجود.

=====

=====

الفترة الثانية.

نريد أن نتناقش في ورود كلمة (صدق) في القرآن.

عندما تناقشنا في الجلسة الأولى كنا اتفقنا على اتفاق مهم، وهو أن الصدق كلمة لها ثلاثة أحوال: صدق مع النفس، وصدق مع الله، وصدق مع الناس، ولو أردنا تعريف الصدق مع الله، كان تفكيرنا كله حول القصد، الصادق مع ربه صادق في قصده الله، إذا نصح صدق في أن مقصده الله، إذا أعطى صدق في أن مقصده الله، إذا منع صدق أن مقصده الله، إذا ربي صدق في أن مقصده الله، إذا علم صدق أن مقصده الله، وهكذا، هذا الصادق.

يأتي الصدق مع النفس، الصدق مع النفس هو وسيلتي للصدق مع الله، ما الصدق مع النفس؟ ما معنى الصادق مع نفسه؟ الصادق مع نفسه شخص يحرر مقاصده، يعني ما الذي بعثك؟ ما الذي جعلك تفعل هذا الفعل؟ يسأل نفسه هذه الأسئلة، وكنا قد اتفقنا خلال النقاش، أن الإنسان الصادق يفتش عن حقيقة مقصده، ولا يقبل بتلميع نفسه أمام نفسه، ويخبي وراء هذا التلميع مقاصد أخرى، لأنه إذا عاش على هذه التخبئة، حيث يوجد مقصد في الأمام ومقصد في الخلف، وتجاهل هذا المقصد الذي في الخلف، ومرت عليه الأيام وله مقاصد أخرى، يدخل في ذاك النداء الخطير {.. أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى..}

لأن هؤلاء كانوا مع المؤمنين ظاهرًا، كانوا مع المؤمنين؛ في تصرفاتهم، في أحوالهم، في شهادتهم أن لا إله إلا الله، في صيامهم، في صدقتهم، في كل شيء من جهة الظاهر، لكن من جهة مقصدهم بهذه الأعمال، كان يوجد مقاصد خفية ودسائس أفسدت عليهم عملهم وهم يتقربون إلى ربهم.

بهذا فهمنا الصدق مع الله ومع النفس، على هذا يأتي الصدق مع الناس أيسر ما يكون، ستقول الكلام الصحيح المطابق بنية صحيحة لا تقصد فيها إلا المقصد الصحيح، لا تكذب على نفسك، فأنت تتعامل مع الله وتعامل مع الناس بدون ما تكذب على نفسك.

الآن هذه النيات الخفية المدسوسة، التي تندس وراء النية المعلنة هل بسهولة أستطيع أن أكتشفها؟ الجواب: أن من رحمة الله أنه لا يتركنا تندس في قلوبنا النيات الباطلة ولا يكشف أنفسنا لأنفسنا، يعني من رحمة الله أنه يكشف لنا نفوسنا، لكن كيف يكون هذا الاكتشاف؟ هذا الاكتشاف واضح بآية سورة العنكبوت.

ثانيًا: الصدق في القرآن، نجد أولاً كلام صاحب التهذيب، نترك كلام صاحب التهذيب، انتقلوا إلى الصفحة التي بعدها حيث الآية -لأنه ضاق علينا الوقت المفترض كنا نقرأ كلام التهذيب بوضوح-، انظروا آيات سورة العنكبوت، وهي من الآيات التي دائماً نردها،

والحمد لله واضحة ومفهومة، فقط نضعها في مكانها المناسب الآن، يقول الله عز وجل: {الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}³⁵ يعني ما فائدة هذه الفتن؟ من أجل أن يظهر الصادق.

نحن نتكلم عن الصدق، إذن الصدق ليس دعوى، ليس دعوى فتقول أنا صادق في نصحك، أنا صادق في عطيتك، أنا صادق في علاقتي معك، لا، كلام هذه الدعاوى يأتي وراءها اختبارات، إذن نفسر كلمة واحدة في البداية، ثم نفهم المسألة بالتفصيل، ما معنى {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا} ما معنى آمنا؟ هل كلمة (آمنا) على وجه العموم؟ أم في كل موقف أمر مختلف؟ في كل موقف أمر مختلف.

يعني أنت الآن تريد أن تشتري بيتاً، وأنت طوال عمرك تقولين آمنت أن الله هو الرزاق، والله عز وجل جعل في قلبك إرادة أنك تشتري بيتاً، وأنت مؤمنة الآن في دعاواك أن الله هو الرزاق، فتتصرفين تصرفات تنافي إيمانك أن الله هو الرزاق، أو تقولين أنا مؤمنة أن البركة من عند الله، أو أن العطية تأتي من الله، أو أي

دعوى من هذه الدعوى، ماذا يحصل على الدعوى؟ مباشرة تمر بموقف يكشف لك أنت من.

يعني هذه الاختبارات متى ستأتي؟ كل مرة تقول فيها أنا أو من بهذا الشيء، أنا أفعل هذا الشيء إيماناً مني،  مباشرة يأتي اختبار يبين لنفسك هل أنت مؤمن حقاً أم لا، هل صدقاً أنت مؤمن أن الله رزاق أم لا.

مثلاً نحن نقول أننا إذا خفنا ليس لنا ملجأ إلا الله، ونكون نحن مؤمنين بهذا، أنه هو الذي يؤمن روعاتنا، ويستر عوراتنا، هذه دعوى، لكن أول ما يأتيك شيء يخيفني، قلبك الآن يفرع لمن؟ هذا الفرع الأول - أول شيء يفرع إليه قلبك - هو الذي يكشف هل دعواك صدق أو كذب، يعني أنت تقول بلسانك لا مفرع للخائفين إلا الله.

مثلاً جاءت زميلتك وتقول لك: أنا خائفة يفعلوا كذا وكذا، فتطمئنيها وتؤمنيها، وتقولين: لا يوجد مفرع إلا إلى الله، وربنا الذي يؤمن الخائفين، وانظري موسى عليه السلام، في سورة القصص، لما وصفه الله عز وجل أنه خاف، مباشرة أول ما خرج قال: "ربي"، وكيف طلب الله عز وجل، والله عز وجل هداه إلى الصراط القويم، ووصل إلى القوم وتزوج وعاش، وتحكي لها من أجل أن تفهم أنه لا مفرع إلا إلى الله، هذا كلام جميل وأنا في الأمان، أنا قلت هذا

الكلام، ماذا سيحصل؟ أنا بنفسي سأمر بموقف يظهر فيه هل هذه الدعوى صدق أم لا، إذن لن تترك تدعي أي قيمة من القيم العليا التي تتصل بالإيمان، ثم لا تختبر فيها.

يعني مثلاً الآن في اللقاء تقولين لنفسك: الحمد لله أنا صادقة مع الناس، مباشرة -بدون تفكير-  سيأتيك الموقف الذي يكشف لك الحقيقة؛ هل أنت صادقة أم لست بصادقة؟ مباشرة يحصل لك موقف تدخلين فيه في حرج بين أن تصدق أو أن تكذب.

فالله عز وجل لا يترك الأعداء، إنما يرحم الأولياء، يرحمهم بأي شيء؟ أنهم لا يعيشون طول حياتهم خادعين لأنفسهم، يعني لا تستقر الدسائس عند أهل الدسائس إلا أن الاختبارات تتكرر عليهم وهم لا يلتفتون لها، يعني لا يتركك الله وفي نفسك دسائس ولا يخرجها لك، لكن نحن مشكلتنا أننا لا ننتبه إلى تربية الله، لا ننتبه للاختبارات التي تبين لنا نحن من؟

مثلاً الآن -هذا الموقف حقيقي- امرأة تقول: علمت أن من أكثر ذكر الله، وفقه الله لحسن الخاتمة، فتقول أصبحت أمرن نفسي على أني أذكر الله، لكنني أشعر في نفسي أن هناك شيء من الضعف، وأحتاج لمذكرات كثيرة من أجل أن أتذكر، لكن شعرت أني مطمئنة لأنني ما دام أذكر الله إذن مرحباً بحسن الخاتمة، أعطت لنفسها

طمأنينة أن معها حسن الخاتمة، ها أنتِ معكِ أشياء كثيرة تذكركِ بالله وتذكرين الله، المهم تقول -هي شابة صغيرة-: خرجت مع أهلها في استراحة ونزلت المسبح، المهم تعرضت للغرق، لما تعرضت للغرق، تقول ولا تذكرت أن أقول "يا الله"، أصبحت فقط تنادي على أهلها وخاصتها، ونجت الحمد لله، لكن تقول: الدرس الذي تعلمته، فهمني ما معنى أن يعيش الإنسان يخاف من سوء الخاتمة؛ لأنها أعطت لنفسها طمأنينة وأمان، فهذه دسيصة الآن لو دخلت على القلب تفعل مصيبة، فالله عز وجل نجاها من دسيصة دخلت على قلبها، بأن عرّضها لموقف، وأراها أنها ممكن في لحظة الموت لا تتذكر أن تقول لا إله إلا الله ويا الله.

فالمقصود نخرج إلى نتيجة مهمة: أبدًا يا أيها البصير لا تتصور أن هناك قدر من الأقدار يمر عليك كما اتفق، إنما تُبتلى وأنت كريم بشحيح، ليقال لك: انظر منّة الله عليك بأن جعلك كريمًا، ولا تتكبر، تبتلى أنت الطائع المصلي بقرين لا يصلي أو بقرين ضعيف في صلاته، من أجل أن تكتشف نفسك هل أنت صحيح تخاف على نفسك أم تتكبر وترى لنفسك الصلاح؟

لأن كثيرًا من الناس المستقيمين في دينهم يقع أن يعاشرهم أناس أضعف منهم إيمانًا، والإنسان المستقيم يقول لنفسه: من الاستقامة

والدين والانكسار والذل لله عز وجل أني أنا لا أرى نفسي على أحد أحسن منه، الله أعلم بالخواتيم، دائماً نحن نقول "الله أعلم بالخواتيم، لا أحد يعرف من الذي يموت على دينه..." إلى آخر هذا الكلام.

هذه دعوى نحن نقولها؛ أنه لا يدري من أحسن من من، مباشرة يأتيك قرين أياً كان هذا القرين؛ زوج، ابن، جار، يصبح هو ضعيف الإيمان وتصبحين أنتِ صورتك قوية الإيمان، وتمارسين عليه مشاعر أنك أحسن منه، وحتى حينما تنصحين هذا القرين (الصاحب، الزوج، الابن) تنصحينه بعلو، فتقولين: صلّ أحسن لك، انظر كيف أنا أصلي، وهكذا، وتأتي المرأة تقول: أنا أصلي أمام ولدي وزوجي -ودائماً نعطي لأنفسنا علامة صح- لكي نصبح لهم قدوة! وأقوم الليل لكي أقول له: انظر كيف لذة قيام الليل، ومن الداخل توجد نفخة تقول في الداخل: أنا أحسن منه، تقول لزوجها قم صلّ لتصبح معي في الجنة، كأنه محكوم لها!

رأيت هذه المشاعر، بعد ذلك تأتي المرأة تقول: أنا لي عشر سنين أنصح، ولم أخرج معه بشيء، طبعاً لا يخرج معك؛ لأنك تمارسين النصيحة من زاوية الكبر، فانظري النفوس كيف تبتلى، يعني قوي الإيمان يبتلى بضعيف الإيمان من أجل أن يقال له: هل ستتكسر،

وتتذلل، وتقول أن الخاتمة بيد الله، ولا ترى نفسك أحسن من أحد، أو تمارس الكبر على هذا ضعيف الإيمان؟

لا يوجد دعاوى، الصدق ليس فيه دعاوى، فلا آتي أقول لربنا: "يا رب أنا أعلم أن الخاتمة بيدك، والله أعلم من الذي يحسن له الخاتمة، ومن يأتي له سوء الخاتمة"، ثم أمارس عكسها، ثم أعيش في مواقف وأكون عكس هذه الحقيقة، فتأتيك اختبارات.

ولذلك دائماً الناس يسألون: الله عز وجل يقول مخبراً عن اقتران الزوج بزوجته وعن اقتران صاحب بصاحبته، كيف يقترن الناس؟ يعني هل الفاسدين مع الصالحين؟ لا، الطيبون للطيبات، فتقول عن نفسها أنا طيبة وأصلي وهذا ليس طيباً، نقول: انتهى، عرفنا من الذي ليس بطيب، كون الإنسان يعطي نفسه مشاعر أنه طيب، وأن غيره غير طيب، هذا بنفسه فساد، أن تتهم غيرك.

ونحن طول النهار أنا طيب وقلبي طيب، إذن من سيكون البطل؟! أي طرف آخر غيري؟!

لا توجد دعاوى، ليس هناك أحد يدّعي فيقول؛ أنا مؤمن، أنا صالح، أنا تقيّ، أنا لست متكبراً، لا أحد يقول آمنت، إلا وتأتيه من

الاختبارات التي تكشف نفسه، لكن ليس شرطًا كل مرة يرسب، أحيانًا يختبر فينجح.

فالله عز وجل يعلم {فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} ³⁶ صدقوا وكذبوا في ماذا الآن؟ في ماذا الصدق والكذب؟ فيما ادعوه.

إذن نتفق في مفهوم الصدق على أن كل حقائق الإيمان دعوى، إلى أن يأتيك الاختبار فتكون صادقًا في هذه الحقيقة، يصبح السؤال الآن أيهم الأساس الصدق أم الإيمان؟ هل يكون الإنسان صادقًا أم يكون الإنسان مؤمنًا؟ **الصدق شرط الإيمان**، يعني الصادق الآن يكون صادقًا في دعواه أنه مؤمن، وصادقًا في دعواه أنه يؤمن أنه سيلقى ربه، وصادقًا في دعواه أن الله سيحاسبه، وصادقًا في دعواه في خوفه من ربه، فلا بد أن يكون أساس الإيمان هو الصدق.

ليس شرطًا أن الذي لا يوفق في بعض الأعمال بالضرورة أن يكون كاذبًا ليس شرطًا، المقصود الآن أن الإنسان يُختبر في دعواه، قد ترسب اليوم، فتوجد فرصة غدًا، وقد ترسب غدًا، فتوجد فرصة بعد غد، يوجد فرص لكن المهم لا تدّعي.

يعني انظري الناس خصوصًا الشباب عندما يدخلون في ذنب، وبعد ذلك يخرجون ويقسمون بالله أنهم تابوا، يتوبون ويعودون

ويخافون من ربهم، ثم يحصل لهم حالة -انظري ماذا يفعل لهم الشيطان- يطمئنهم أنهم ثبتوا، فالله يختبر صدق توبتهم، فماذا يفعل بهم؟ يأتيهم بأسباب كانت ممنوعة عنهم، أي تتسهل لهم أسباب الذنب، كأنه يقال لهم: هل صدقتم في توبتكم أم لم تصدقوا؟

شخص ذهب إلى الحج وتاب، وبدأ يستقر في نفسه أن توبته الحمد لله تمام، هل سيترك على دعواه؟ لا، ماذا يحصل له؟ فتن، أريد أن أفهم كلمة فتن؟ يعني تتسهل له أسباب المعصية، إذا صدق في توبته لا يقع الآن، إذا لم يصدق يقع، وإذا كان نصف نصف يقع نصف نصف، لكن إذا وقع نصف نصف أو حتى وقع، هل ليس عنده مجال أن يرجع ويتوب؟ بلى، عنده مجال يرجع يتوب.

الآن نحن لا نتكلم عن مجال التوبة الجديد، لكن نتكلم عن أنك الآن عندما تتوب، عليك أن تتعلق بالله أنه يثبتك على توبتك، لا تعطي نفسك ختمًا أنك صادق في توبتك، الذي يشعر أنه صادق في توبته، مباشرة تأتيه الابتلاءات، لكي يبقى متمسكًا بالله، متمسكًا أن يثبتته الله، فإذا وقع، الذي يفهمه: أنك انتبه، لا تعطي فرصة لنفسك أن تقول: "أنا تبت واكتملت توبتي"، فيأتي شيء يذكره، وتأتيه فرصة، فيضع يده في الذنب، هذا لماذا؟ لكي يرجع ويفيق، من أجل أن

يعرف أن الله عز وجل لا يقبل الدعاوى، ماذا نحتاج؟ نحتاج أن نكون صادقين مع ربنا.

هذه الآية العظيمة نحتاجها من أجل أن نفهم أن الدسائس التي في القلوب تحصل، ويكون الإنسان غير صادق مع الله، يدعي دعوى يلمع فيها نفسه، ومن الداخل عنده شيء مدسوس، هذا المدسوس مع الزمن يضيع علينا، ننسى أصلاً نحن ماذا كنا، نقول: لن يتركك الله، سيختبرك.

مثلاً امرأة متخرجة من الجامعة، وعندها دراسات عليا، وأحبت أن تحفظ القرآن، أتت مدرسة التحفيظ، قالوا لها أول السنة: للعلم؛ شهادتنا ليست بشيء، هذه مجرد ورقة تبلينها في الماء، أهم شيء أن تحفظي من أجل ربنا، قالت: نعم أنا أصلاً ماذا أريد من شهادتكم؟! أنا عندي شهادات متراكمة، تقول: أنا أريد أن أحفظ من أجل الله، وفي آخر السنة مدرسة التحفيظ أعطوها شهادة، ومنحوها تقدير ضعيف، وزميلاتها في الفصل كلهم أعطوهم جيد وممتاز، فماذا تفعل؟ تمزق الشهادة في وجههم، وتقول لهم: أنا التي كذا وكذا -وتعد مآثرها- تعطوني ضعيف -أو تعطوني جيد-! الآن أنت في أول السنة ماذا قلت؟ قلت أنا أحفظ من أجل الله، ثم تأتي المصائب حولها، ويعاونونها، ويقولون لها: لا الحق حق والظلم ظلم، لا

المفترض تعطوها درجة عالية على الأقل احتراموا شيببتها...! أصلاً هذه الورقة إذا بُلت بالماء ذهبت آثارها، لكنها ما جاءت لها إلا اختباراً لكي تبين لها أنت من؟

الدعوى هذه لا تصح، مع الله لا تتعاملوا هذه المعاملة، لا تكذب وتغطي عليك كذبتك، السؤال الآن: هل كل من يدّعي ويختبر في دعواه يتفطن للاختبار؟ لا، ليس كل الناس يتفطنون، يوجد ناس معطين ظهورهم للتفكير، لا يرجون إلا الحياة الدنيا، رضوا بها، واطمئنوا بها، {عن آياتنا غافلون}، كل تفكيرهم هم من؟ ماذا يكسبوا؟ إلى أيّ درجة يصلون؟ فقط أنا أين هنا؟

فالصدق، والتفتيش فيه، والانتفاع من الاختبارات، حالة لا تكون إلا لمفكر يشتغل بالتفكير في نفسه، وفي لقائه بالله، ولهذا من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، يعني أنت تصل إلى أن تصبح في درجة الإحسان إذا تركت ما لا يعينك، لماذا؟ لأنه لما تترك ما لا يعينك، ← تنشغل بما يعينك، والذي يعينك هذا الجوهر الذي تحمله.

المشكلة أننا لا نشعر أن قلوبنا جوهر، لا نشعر أن الله عز وجل ينظر إلى قلوبنا، لا نشعر أنني مطلوب أن أستعمل سمعي وبصري وبدني من أجل مصلحة فؤادي، وأدخل إليه النور، لا أدخل إليه الظلمات؛ فلأن القلب ليس له مكان أصبح مسكيناً داخل فيه سهم

ويتنقط دماً طول الوقت، مرسوم ذاك القلب الذي فيه سهم وينقط دماً، وينقط دماً إلى أن ينزف ويموت، إلى أن يصبح أسوداً، والسبب: أدخل على قلبي بالنظر ما يفسده، وبالسَّمع ما يفسده، وبالحركة ما يفسده، وفي النهاية يفسد القلب، إذن الصادق هذا امرؤ يشتغل بالتفكير في نفسه، أنا مَنْ؟ لماذا أتصرف هذه التصرفات؟ ما هو الطريق المستقيم؟ كيف أنجو؟ كيف أدخل إلى القلب النور؟ كيف أصل؟

ولذلك فيما يذكر عن مغنية مشهورة فرنسية دخلت في الإسلام، وقصة إسلامها عجيبة، لأنها لم يدلها أحد، إنما قرأت معاني القرآن بالترجمة الفرنسية، ووصلت عن طريق التفكير إلى أن هذا الحق، أين الشاهد؟ الشاهد أنها قبل ما تدخل الإسلام تحكي عنها صديقتها أنها كانت دائماً تفكر أين هو النور؟ ما هو الطريق المستقيم؟ كيف أعيش في الحياة وأنا أعيش عيشة صحيحة؟ فكان يشغلها هذا الشأن، يشغلها شأن نفسها، ومع أنها مشهورة، وعندها مال وإلى آخر ما يريدونه كل الشباب، مع ذلك كان شاغلها أين النور؟ أين الشيء الذي أعيش فيه وأنا أشعر بأني مطمئنة؟

هذا ما سببه؟ سببه أن الله عز وجل خلقنا جميعاً فينا فطرة داخل نفوسنا، هذه الفطرة التي داخل نفوسنا فيها بديهيات، من بديهيات

الفطرة، أنه لا يوجد استقرار في الدنيا إلا بأن يكون لك ركن شديد، دائماً أنت فقير محتاج، هذه من البديهيات التي كل الناس يشتركون فيها، مثل الطفل الصغير، دائماً يشعر أنه يحتاج والديه، دائماً من الأشياء الطبيعية عندنا أن الصغير يشعر أن الكبير ركنه الشديد، فيكبر الصغير ويجد نفسه مع أنه كبير ومشهور وله مكانة، أو أب أو أم ومع ذلك ضعيف ويحتاج إلى ركن شديد.

إذن كلنا بفطرتنا فينا هذا الأمر الخطير، أننا كلنا نشعر بالضعف والحاجة إلى الركن الشديد، فدائماً نفتش عن ركنٍ شديد، فتسمعي الله عز وجل يقول لك: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ}**³⁷ صمدك، مقصودك، كامل الصفات ركنك الشديد، متى ما احتجتِ فزعتِ إليه، فكل الناس مسلمهم وكافرهم فيهم هذه الفطرة، ضعيف يحتاج إلى قوي، فقير يحتاج إلى غني، جاهل يحتاج إلى عالم، هذه الفطرة التي موجودة في النفس البديهية تجعل الإنسان دائماً يبحث عن ركن قوي، عن ركن شديد، إلى أن يتوصل أن ركنه الشديد وحده هو الله.

ولذلك أمرنا شرعاً أن نكرر سورة الإخلاص، ومن قرأها عشر مرات يُبنى له بيت في الجنة، ونقرأها بعد الصلوات، ونقرأها قبل النوم، ونقرأها في أذكار الصباح والمساء، لكي نقول لأنفسنا **{قُلْ**

هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ { الله صمدي، ملجئي مفزعي، مولاي، هو وقت حاجتي، في كل حاجتي هو لي ليس لي أحد سواه، كامل الصفات، كامل القدرة، كامل العظمة، إذا أردت رزقاً فهو الرزاق، وإذا أردت عطية فهو الكريم، وإذا أردت جبر قلبك فهو الجبار، وإن أردت سترًا فهو الستير، لا يوجد غيره، أصلاً أنت تعامله، لا تعامل أحدًا على الحقيقة إلا الله، والشخوص التي تراها حولك إنما هي مجموعة اختبارات {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ..} ³⁸ أتصبرون فترون من وراء هذه الشخص الله يعطيكم، يرزقكم، هو صمدكم هو وليكم؟

فالمقصود الآن أن هذه الفطرة الموجودة في النفوس، والتي يجتمع فيها كل الخلق، أكيد تدفعك إلى باب الله، فتساعدك على أن تكون صادقًا في أن يكون مقصدك هو الله.

لأن ما معنى الصمد؟ الصمد يعني السيد الذي قد كمل في سؤدده، الذي قصده كل أحد بحاجاته، وقصده أولياؤه بطاعته، كل أحد يقصد الله بطاعته.

مثل ما هو مشهور عن اللاعب المشهور الذي أسلم، كان بلا دين أولًا، ثم نزل يسبح مع أصحابه إلى أن وصل إلى عرض البحر،

بعدته الأمواج عنهم، وأصبح لا يوجد إلا الغرق، فنظر إلى السماء، لأن هناك بديهة تقول أن الله العظيم لا بد أن يكون في السماء، بديهة داخل قلبه، فقال: لو كنت موجودًا أنقذني وسأبحث عنك، أنقذه الله، أخرجته الله إلى الشط، خرج فبحث، فوجد أن مقصوده وصمده هو الله، فدخل في الإسلام، لم يعرفه أحد من هو الله إلا أهل الإسلام، هل نحن حقًا سفراء نعرف الخلق من هو الله؟! مشكلة عظيمة، وعدم معرفتنا من هو الله لا تجعل الله مقصدنا، فيحصل الكذب على النفس، يحصل الكذب على الله.

فإذن الحل الآن من أجل أن نكون صادقين، الحل يبدأ بمعرفة الله، واعلم أن الدسائس الموجودة داخل القلب الله يخرجها من أجل أن تعرف أنت من مع الله، في معاملتك لا يوجد دعاوى.

يعني من الاختبارات التي كلنا نتعرض لها، ولا بد أننا نتعرض لها في دعوانا لما نقول آمناء، كل مرة نختبر الاختبار، ثم يقال لنا: من مفرعكم أولًا؟ أول مفرع، أول ما يدخل عليك ضيق إلى من مباشرة تفرع؟ في الدعاوى -ولا يوجد أسهل منها- الجواب: الله، لكن في المواقف عندنا قائمة من الناس والأشياء التي نفرع إليها، نحن لا نتكلم عن الأخذ بالأسباب، خذ ما أردت من الأسباب بعد أن تفرع إلى الله أولًا، أليس الله هو الأول الذي ليس قبله شيء؟!

إذن هو الأول الذي تفرع له وليس قبله شيء، بمشاعركم يكن الفرع، مثلاً أنت في مكانك، ويكون نصف الليل التوت قدمك، من مفرعك في هذه اللحظة؟ انظري نحن نتذكر الناس الذين حولنا، ونقوم الناس وكل شيء، لكن أول لحظة ليس فيها فرع لله عز وجل، يأتوك فيقولون لك عن ضيق من أي نوع، خسروا وحصل لهم، لأنه لم توجد فرعة أولى لله، الفرعة الأولى ترسم أنت من مقصدك.

فهذا الإشكال هذا واحد من الاختبارات التي تتكرر بعدد أنفاسنا، فالذي يقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ} الله هو مفرعي ومولاي، لا بد أول ما يدخل في ضيق شديد أو خفيف، قليل أو كثير، أول ما يفرع قلبه يفرع إلى الله، ثم الملك الذي بيده ملكوت كل شيء، الأول الذي ليس قبله شيء، يفتح لك أبواب الأسباب، ويلقي لك الأفكار، ويقرب لك البعيد، ويسهل الصعب، وتسهل الأمور وتنقضي، ثم هي تبدأ عظيمة ثم يلها الله.

يعني لو نحن في الحج مثلاً أنت خارجة للحج وهذا موقف دائماً يتكرر خصوصاً مع طريقة التفويج الجديدة، نخرج من القطار كلنا جماعة مع بعض، بنتي عمرها عشر سنين أو إحدى عشرة سنة، وفجأة في الزحام لا أجدها، طبعاً أنت تعرفين ماذا يمكن أن يصير في هذه المشاعر؟

*ممكن بكل صوتي أصرخ وأبحث عنها،

*وممكن لا، بكل ما أملك من انكسار ويملكها الملك العظيم أدعو:

احفظها يارب، ردها يارب،

فانظري هذه الفرعة الأولى تقول أنت من.

مثل هذه المواقف لا تأتي إلا اختبارات، لذلك لا يوجد دسائس في القلب إلا يخرجها الرب، أبصرها من أبصرها، وغفل عنها من غفل عنها، هذا من تمام رحمته، من تمام رحمته أنك لا تلقاه وقلبك مليء بالدسائس، إنما يخرجها لك كلها ويبينها، وبعد ذلك، أنت هذه المرة رسبت، المرة القادمة تنجح، هذه المرة ما وفقت، المرة القادمة أوفق، مثل المرأة التي حكينا عنها أنها وجدت نفسها تغرق وما ذكرت الله، أكيد لا بد أن يكون من أدعيتها التي تلزمها: يا رب ثبتني، يا رب ثبتني، يا رب أحسن لي الخاتمة؛ لأنه تبين لها يقيناً أن الخاتمة ليست في يدك، الخاتمة في يد الله.

والحج خصوصاً مع وجود وسائل الاتصال تأتيك مواقف عجيبة، شخص عمره ثمانون سنة وهو في المطاف يسقط ويموت، وامرأة في البعثة المصرية عمرها ثمانين سنة أول مرة تأتي الحرم، وفي يوم منى ليلة عرفة تسجد في صلاة العشاء، ثم لا تقوم من سجودها،

قُضي الأمر، هو الذي يملك الخواتيم، يعني امرأة كبيرة في السن وكانت فيما يبدو قريبة لأحد الموجودين، وكأنهم أتوا بها فوق العدد المطلوب، لا أحد يدري ما الذي في قلبها من إيمان، تأتي من بلدها لأول مرة فيختم لها هنا، هل أنت تشعر أنك تستطيع أن تأتي لنفسك بالخاتمة؟ الجواب: لا، كل ما عليك أن تصلح قلبك، كن صدقًا مشغول بقلبك ودسائسه، ثم يخرجها الله، وينظفها، فلا تقبض روحك إلا وقد استوفيت كل الفرص، لكي تظهر هذه الجوهرة، وتصل بها إلى الله، وتصل وقلبك سليم، جوهرك محفوظ سليم.

فالمقصد الآن نعود لأول الكلام؛ نحن في سفر، لا بد أن تكون أعيننا صادقة في النظر إلى مقصدنا، نركب أبداننا -دوابنا-، نحمل قلوبنا -جواهرنا- نريد أن نوصلها إلى الله وهي سليمة، كل هذه الأدوات التي تملكها استعملها بصدق، استعملها من أجل أن يبقى قلبك محفوظًا، لا تستعملها وأنت راض بالحياة الدنيا، استعملها من أجل أن تصل إلى ربنا.

ثم إنك تستطيع أن تدّعي، وما أسهل الادعاء! لكن الصعب هنا أنه لما تأتيك الاختبارات تكشف حقيقتك، أنك تقول لنفسك: نعم اكتشفت أنني كذا وكذا من العيوب، فتبدأ بعملية الإصلاح، وأول الإصلاح أن تنكسر بين يدي الملك العظيم تطلبه أن يصلح قلبك.

وهذا الذي يجعل الكافر كفرًا أصليًا عندما يدخل في الإسلام يكون أقوى إيمانًا من المسلمين الذين في ديار الإسلام، ما التعليل؟ التعليل واضح، المؤمنون الذين في دار الإسلام سهل عليهم الدعاوى، لكن هو لم يدخل في الإسلام إلا لما كان صادقًا، بحث وفتش ووجد أن هذه الحقيقة، فدخل فيها بصدق، لكن الناس في ديار الإسلام وخصوصًا في دار مثل دارنا -نسأل الله أن يعزها ويحفظها ويرد عنها كيد الكائدين- يوجد شيء اسمه إيمان المربي والإلف، فتحنا عيوننا ووجدنا أنفسنا مسلمين مؤمنين، أين حقائق الإيمان؟! أين شعورك بقاء الله؟! أين شعورك من هو الله؟! أين معرفتك بكمال صفات الله؟!

تقرأ آية الكرسي ولا تعرف معنى الحي القيوم! وحين نقول لك: هات مثال على قيومية الله، لا تعرف تقول هذه نبضات قلبي التي ينبضها ما تنبض إلا بأمره، قائم على نبضات قلبي، ما ينبض قلبي إلا بأمره، ما أتنفس إلا بإذنه، ما أتحرك إلا لما يأذن لي أن أتحرك، لا أعرف ماذا يعني قيوم! وأنت تقرأ آية الكرسي كل يوم ولا تسأل نفسك ماذا يعني قيوم! ومثل ذلك: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ}**، ومثله: **((اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ))**³⁹

فدخلنا في الدين ليس بصدق إنما بالمربى والإلف، فكانت النتيجة ضعف الإيمان، وسلوكيات مخالفة تمامًا لهذا الإيمان، دليل على عدم وجود الصدق، قيم غير موجودة بسبب أن الإيمان لم يستقر.

إذن هذا إيمان المربى والإلف ماذا نفعل به؟ نحوله إلى حقائق، نتعلم، نفتش في قلوبنا، نجعل أعيننا على قلوبنا، نسأل ربنا أن يبين لنا صدق أنفسنا وأن يصلحها، وأنت تسأل الله، والله أصلاً من رحمته أن يبين لك ولا يتركك تدعي، وأنت اسأل الله أن يبصرك في الاختبار، كم من المواقف نجلس فيها ونقول يا رب ما هو الشيء الذي لا بد أن أفهمه؟ ما هو الدرس الذي لا بد أن أفهمه؟

مثلاً أكون أحسنت إلى أحد، ونحن نعرف أن الإحسان جزاؤه الإحسان، لكن هو يسيء إليّ، ما هو الدرس الذي لا بد أن أتعلمه يا ربنا؟ فيأتيك الجواب: أنك أنت ألسنت محسناً من أجل الله؟! حفظ الله لك إحسانك وأساء لك الناس، من أجل أن تختبر في صدق إرادتك وجه الله، فلا تسمع لمن يقول نصيحة خائبة: اعمل الخير وارمه في البحر، لماذا أرميه في البحر؟! بل أعمل خيراً، وأطلب وجه الله، ثم إذا أتاك الشر من الخلق إنما هم تسلطوا عليك اختباراً لصدقك، ثم لا تبالي ما أن تتجح، إلا وتعود القلوب وتتأسف، لا تبالي لا تفكر إلا أنك أنت مقصدي يا رب العالمين.

فكل هذه الدعاوى: أنا عفوت من أجل الله، تصدقت من أجل الله، أحسنت من أجل الله، لا تقل مقصدي الله إلا بعد أن تفتش في قلبك هل حقًا مقصدك الله، وهذا هو حقيقة الصدق أن يكون مقصدك هو الله، وهذا هو ترجمة قولك: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ} هو مقصدي وهو وليي وهو الذي يغنيني ويعطيني ويحفظني، فهو وحده الذي يعاملني، وهو وحده الذي أعامله، فتصبح واحدًا في الأرض لواحد في السماء، فتحقق بذلك التوحيد.

ولهذا انظري للسبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ما عندهم إلا الله ((...لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ...))⁴⁰ ثقة، معاملة من الأرض إلى السماء.

اسمع في سورة (ص) كيف يصف الله عز وجل الأنبياء وكمالهم {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ}⁴¹ دائمًا ذكرى الدار في أذهانهم، دائمًا لقاء الله عز وجل في أذهانهم، أخلصوا بهذه الخالصة فكانوا صادقين، فما ينفع العبد إلا صدقه مع نفسه ومع ربه، ثم على هذا سيطرتب أن يكون صادقًا مع الناس.

⁴⁰ أخرجه البخاري

⁴¹ [ص : 46]

ولذلك نحن نناشد كل الجماعة الذين في التعليم؛ معلمين وإداريين وطلاب: أن يبينوا معنى الصدق لمن حولهم، الصدق لا ينحصر أبدًا في القول، إن الصدق في القول، وفي التعامل مع الناس، ناتج من الصدق مع النفس، ومن الصدق مع الله، فإذا صدق الإنسان مع نفسه، ففتش ما في قلبه، وبحث عن إرادته، وصدق مع ربه، كان الناتج من هذا أن يكون صدقه مع الناس موهبة وسليقة، أمر لا يستطيع غيره، يصبح طبعًا من طباعه أن يكون صادقًا مع الناس؛ لأنه ينظر إلى رب ينظر إليه، ويسمع كلامه ويرى مكانه، فيكون في حال من الخشية أن يقول شيئًا لا يطابق الواقع، أو يريد شيئًا لا يطابق ما أظهره، نحن طوال الوقت حاملين هم أني كيف أكون صادقًا مع الناس بكلامي، والحقيقة أن المشكلة أزمة سابقة؛ أني كيف أكون صادقًا مع الله؟ كيف أكون صادقًا مع نفسي؟

الآن جاوبنا هذا السؤال: ما علاقة الصدق بالإيمان؟ يعني من أساس من؟ الصدق أساس الإيمان؛ لأنك حينما تكون صادقًا، لا تدعي دعوى، إنما تكون صادقًا في إخبارك عن إيمانك.

الآن سنقول أن الصدق صفة عظيمة، والنصوص التالية تدل على عظمة هذه الصفة، كل من في ورشة العمل أجيئوا، والجمهور

سنعرض عليه الشرائح، وتكونون معي إن شاء الله في الإجابة: مع مجموعتك بيني ذلك:

نحن نقول الصدق صفة عظيمة، لدي أدلة على أن الصدق صفة عظيمة، انظري لهذه الأدلة؛ الله عز وجل يقول: {وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} ⁴²، لكي تتضح أكثر انظري لهذه الآية {...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} ⁴³، وهذه {ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ...} ⁴⁴، وهنا {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ...} ⁴⁵ ما هو السؤال؟ كيف تدل هذه النصوص على عظمة الصدق؟ الله عز وجل وصف نفسه بالصدق، ووصف كلامه بالصدق، إذا كانت هذه الصفة لله، إذن هذا يدل على أن الصفة عظيمة.

سنتناقش في دقيقتين: ما معنى أن من وصف الله أنه صادق؟ ما معنى الصدق صفة لله؟ ما معنى أنه صادق؟

سنأتي فقط بنموذج واحد على معنى الصدق صفة لله، فمعنى هذه الصفة يتشعب، لكن نقول من صدقه سبحانه وتعالى أنه وعد عباده وعودًا، فإذا أتوا بأسبابها صدق وعده.

⁴² [يوسف : 82]

⁴³ [النساء: 122]

⁴⁴ [الأنبياء : 9]

⁴⁵ [آل عمران : 95]

نضرب مثالاً وهذه نصيحة لكم خصوصاً بناتنا الصغار، أنك وأنتِ تقرئين القرآن، ابحتي في وردك أين هي وعود الله، وستجدين ما أكثرها في القرآن، بحيث أنك تعيشين على إثر هذه الوعود؛ لأن ما أحلاها تلك الحياة التي يكون صاحبها يعلم بماذا وعد الله، فيفعل، فيذوق طعم الوعد، ويضمن أن الله حقاً سيوفي وعده، فمن عاش على إثر {...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} ⁴⁶ فيسمع كلام أهل العلم يقولون: لو انطبقت السماء على الأرض، لفتح الله للمتقي أبواباً يخرج منها، لماذا؟ لقوة إيفائه لوعده، لو انطبقت السماء على الأرض ترى الله يفتح أبواباً للمتقي يخرج منها، لماذا؟ لأنه قال: {...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ..} ⁴⁷

ما أطيبها من حياة! ما أطيبها حقاً من حياة أنك تعرف بماذا وعد الله، وتؤمن أنه صادق في وعده! كيف لما يقول لك: {..لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ..} ⁴⁸ فتشكر حق الشكر، وتنتظر حقاً الزيادة في الإيمان، الزيادة في البركة، تنتظر الزيادة في صفاء البال {..أَصْلَحَ بِأَلْهَمٍ} ⁴⁹.

⁴⁶ [الطلاق: 2]

⁴⁷ [الطلاق: 2-3]

⁴⁸ [إبراهيم: 7]

⁴⁹ [محمد: 2]

أنت لو عشت في هذه الحياة أن الله صادق، فجمعت وعود الله—هذا الفرع فقط لأن صفة الصدق ليست كلها في الوعد، لكن هذا جزء ظاهر منها جدًا- فنحن الآن لما نسأل أنفسنا عندما آتي بورقة وقلم، وأكتب ما هي الوعود التي أعرفها عن الله، سأجد أنني ظلمت نفسي في أنني ما عشت أعرف وعود الله وأعيشها، هذا ظلم الإنسان نفسه؛ أنه يكون أمام خبر صحيح صادق ثم لا يتمتع به، حرمانا أنفسنا، والمحروم من حرمه الله، والله المستعان.

على كل حال مما يدل على أهمية الصدق أن الله وصف نفسه بذلك، فأنت لو عشت تحت شعور أن الله صادق، وأخذت هذا الجزء؛ أنه صادق في وعوده، ستطيب حياتك، وتقوم بما يجب عليك، وترى كيف الله يذيقك مباشرة أثر وعده، وترى أثر وعده بقوة، قوة إيفاؤه بالعهد.

إذن هذه أول مجموعة، عرفنا منها أهمية الصدق.

ثانيًا: الله عز وجل شهد لرسوله صلى الله عليه وسلم بالصدق، أنا أناقش الآن ما الذي يدلني على أن الصدق صفة مهمة:

أول شيء اتفقنا على أن الله عز وجل وصف نفسه بالصدق، فكان هذا دليلًا على أهمية هذه الصفة، نأتي الآن أن الله شهد لرسوله

بالصدق، انظروا آية النساء {لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} ⁵⁰

السؤال: هل تذكرين موطنًا شهد فيه أحد الملائكة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم؟

حديث جبريل، كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ويصدقّه، فالله عز وجل أخبر أن الملائكة يشهدون على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وورد في الحديث أن جبريل عليه السلام كان يصدقّه، هذه صفة ما نوعها؟ هذه صفة عظيمة أن الله شهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الملائكة تشهد بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، هذا كله يدل على أهمية الصدق.

السؤال: امتدح الله الأنبياء بهذه الصفة العظيمة وهي الصدق، تذكرين من سورة مريم بعض الآيات الدالة على ذلك:

إبراهيم عليه السلام وصف بالصدق في سورة مريم، وكذلك إسماعيل، معنى ذلك في ملخص الكلام نقول: مما يدل على أهمية قيمة الصدق أن الله وصف نفسه بالصدق، وأنه شهد لرسوله صلى الله عليه وسلم بالصدق، وأن الله امتدح الأنبياء بهذه الصفة كما في

سورة مريم، بهذا انتهينا من هذا المفهوم، نحن نخرج عليه بسرعة لأن الوقت ضاق معنا.

نأتي الآن لمفهوم جديد غاية في الأهمية نختم به اللقاء وإن لم نكن أعطينا للقيمة حقها، لكن لا بأس هذا أهم شيء نناقشه في القيمة؛ معناها، وكيف نعيشها؟

نأتي الآن إلى صورة من صور معايشة الصدق:

انتبهوا، في سورة الإسراء الله عز وجل أمر رسوله أن يقول: **{وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}**⁵¹ سورة الإسراء يأتي بعدها سورة الكهف، ما رأيكم؟ ما العلاقة بين الإسراء والكهف بناء على هذه الآية؟ أصحاب الكهف كأنهم مثال على مخرج الصدق ومدخل الصدق.

فهم خرجوا من ديارهم، وهل هم أهل ترف أم فقر..؟ أهل ترف بدليل أنهم لما أرسلوا يطعمون ماذا طلبوا؟ طلبوا **{أَزْكَى طَعَامًا}**⁵²، دليل على أنهم أهل غنى، لكنهم من أجل الله، وأجل ما عرفوه من عبودية الله، وأن أهلهم على الباطل خرجوا منهم مخرج صدق، فأدخلهم الله الكهف مدخل صدق.

⁵¹ [الإسراء: 80]

⁵² [الكهف: 19]

تعالوا لصاحب الجنة في السورة، هل دخل جنته مدخل صدق؟ لا، بل دخلها **{وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ..}**⁵³ إذن دخل مدخل كذب، فكان مخرجه منه كما يستحق، ذهبت وأحيط بثمره.

إذن معنى هذا أن الإنسان يعايش في حياته مدخل الصدق، ويعايش في حياته مخرج الصدق، طول الحياة نحن ندخل هذه الأماكن فتكون مدخل صدق، أو ندخلها مدخل غير صدق، ونخرج منها مخرج صدق، أو نخرج منها مخرج غير صدق.

ما معنى مدخل صدق ومخرج صدق بالتفصيل في حياتنا؟ ما المقصد؟ نرى كلام القاسمي من أجل أن نعرف كيف أن في حياتنا مدخل صدق ومخرج صدق، أنت انظري الآية التي قبل **{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ}**⁵⁴ الله عز وجل يقول: **{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}**⁵⁵ يريد أن يبعثه الله مقامًا محمودًا **{وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ}** فممكن أن تفهمي من الآيات دخوله وخروجه من الدنيا إلى أن يصل المقام المحمود، هذا في حق النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حقنا جميعًا: أن نخرج من هذه الدنيا مخرج صدق، بعدما دخلنا

⁵³ [الكهف : 35]

⁵⁴ [الإسراء : 80]

⁵⁵ [الإسراء : 79]

وخرجنا في أمور، دخلنا مدخل صدق وخرجنا مخرج صدق، إلى أن نخرج من الدنيا كلها مخرج صدق، ندخل إلى الجنة بأمره مدخل صدق،

يقول -القاسمي- في قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ} أي: مدخلًا حسنًا مرضيًا بلا آفة {وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ} أي: مخرجًا حسنًا مرضيًا من غير آفة الميل للنفس ولا الضلال بعد الهدى.

يعني ماذا؟ هذا يتصل بقراراتنا كلها، نحن قراراتنا الآن فيها قرارات صدق وفيها قرارات كذب، بمعنى أن الإنسان وهو يأخذ القرار ممكن يؤثر عليه هواه فيكون مدخله أو مخرجه كذب.

افترض أن هناك طالبًا في مرحلة ثالثة متوسط، سيتخرج من ثالثة متوسط ويذهب أولى ثانوي، ويقول أريد هذه المدرسة، أريد هذه المدرسة، ويصر على أهله أريد هذه المدرسة بدل هذه المدرسة، نقول له: لماذا؟ يقول: لأن مستواهم مرتفع ولأن ولأن، كل هذا كذب، هو يريد بها بسبب أصحابه.

نقول: هذا المدخل اسمه مدخل كذب، وستدفع ثمن الكذب آفة، تذهب أولى ثانوي تجد أصحابك تركوك، تذهب المدرسة تجد

مستواها منخفض، وتجد لا يوجد معلمين جيدين ... إلخ، ستدفع ثمن قرارك المعتمد على هواك، لماذا هو كذب؟ لأنه معتمد على هواك.

وتستطيع أن تقنع الناس أن قرارى هذا معتمد على حيثيات ليس لها نهاية، ومثل هذا الشيء الصغير في كل قراراتنا.

فمثلاً لماذا تردن أن تنقسمن يا معلمات إلى غرفتين؟ فيقلن: بسبب المكيف وبسبب...، والذي في الورااء الله يعلم به، هذا مدخل ومخرج كذب، وبعد ذلك تدفع ثمنه.

فمعنى ذلك: الذي يقول ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق يعني: يا رب سلمني من آفة الهوى وقت القرار، لأن نحن أكثر آفة أن نأخذ قرارات على حيثيات كاذبة، وأقول للناس الذين سأخذ معهم قراراً: أنا أخذت القرار من أجل كذا وكذا، ومن الصدق من الورااء شيء مخفي لمصلحة الهوى.

يعني افترضى نأخذ قراراً في موعد بداية الدوام؛ متى يبدأ الدوام؟ فأنا بيتي قريب، فأقول لهم : سبعة إلا ربع وقت مناسب، لماذا؟ أريد أخرج مبكراً وأذهب لبيتى في الظهرية، لأنى لما أخرج سبعة إلا ربع أستطيع أخرج مبكراً، الثانية بيتها في آخر المدينة، تقول: لا يا جماعة لا يصح سبعة إلا ربع، فلنجعله سبعة وربع، لأجل مصلحتها!

وكل التفكير لأجل مصالحنا، ويتنازع الناس، كل واحد يفكر في القرار ليس من أجل المصلحة العامة، لا، من أجل مصالحنا، لا في هذا الرأي بركة، ولا في هذا الرأي بركة، لا هذا مدخل صدق ولا هذا مخرج صدق.

فالذي يقول ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق هذا امرؤ يريد أن يُسلّم من هواه وقت قراراته، فأنتم لا تعرفون هذه القرارات ماذا تفعل؟! حياة الإنسان على قراراته، حتى استخاراتنا صارت على هوانا، تجد شابة صغيرة، ويتقدم لها عريس، وهو أصلاً أتى على هواها، وأهلها لم يعجبهم، فهي ترى لها رؤيا تأتي بها من عندها أنها رأت أنهم رزقوا، وتقول لك: استخرت ورأيت رؤيا، أصلاً من الذي قال لك أن الرؤيا دليل للاستخارة؟! من أين لك هذا؟! إنما دليل الاستخارة تيسير الأمور، أم أن هذه الاستخارة تصبح على هواك.

فهذا ليس مدخل صدق ولا مخرج صدق، ولذلك الإنسان عندما يمشي على هواه، يدفع ثمن ذلك في حياته، فلا تدخل بيتك وأنت صاحب هوى، ولا تخرج منه بأهداف الهوى، إنما كن صادقاً، اطلب مدخل صدق، واطلب من الله أن يخرجك مخرج صدق، ثم إذا سلمت من الهوى، وبعدت عن الضلال، سيجعل الله لك من لدنه سلطاناً

نصيرًا، سيجعل الله لك من الأسباب التي تساعدك على بلوغ مرادك ما لا تتصوره، وهذا من تمام نعمته على خلقه سبحانه وتعالى.

أثر الصدق يظهر في كل شيء؛ يظهر في قراراتك، يظهر في علاقاتك، يظهر في كلامك، يظهر في عباداتك ومقصدك، المقصود أن الصدق أعم مما نتصوره دائمًا أنه مجرد الصدق في الأخبار.